التوجيهُ الأسلوبيُّ لغريبِ القُرآنِ
دراسةٌ تحليليةٌ

إعداد

د . كَريم مُحمّد مُحمّد صدّيق

حاصل على الدكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية

كلية الآداب جامعة الإسكندرية

من ١١٣٣ إلى ١١٩٨

التوجيهُ الأسلوبيُّ لغريبِ القُرآنِ

"دراسةٌ تحليليةٌ".

كَريم مُحمّد مُحمّد صدّيق

قسم الدراسات النقدية ،كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ، جمهورية مصر العربية.

البريد الالكتروني: dockarimseddik@gmail.com

ملخص البحث

مادة البحث هي دراسة لغريب القرآن على المستوى المعجمي والصرفي والصوتي والتي هي مباحث علم الأسلوب لبيان مدى ملاءمة هذه الكلمات لموقعها من النص القرآني ، فبرغم غرابة هذه الكلمات إلا أنها لعبت دورا في سياقها لا يمكن أن يؤديه غيرها من كلمات، حتى وإن بدا غيرها أكثر شيوعا واستعمالًا ، وحسب النص القرآني جمالا وجلالًا أنه كلام الله (عز وجل) ، فاختيار الكلمات في النص القرآني لا يضاهى فصاحة وبيانًا . المنهج الذي ارتأيته مناسبًا لهذا الموضوع هو المنهج التحليلي؛ حيث إن البحث سيتطلب قراءة النصوص القرأنية وتحليلها للوقوف على اللفظ الغريب في النص القرآني ، مع بيان جماليات الكلمة في سياقها وإثبات كونها هي الأفضل في أداء المعنى في جملتها .سارت المؤلفاتُ في غريبِ القرآنِ في ترتيبِها على طريقتين:

الأولى: السَّيرُ على ترتيب الألفاظِ في السورِ، مبتدئةً بسورة الفاتحة، ومختتمةً بسورةِ النَّاس .

الثانية: ترتيبُ الألفاظِ القرآنيَّة على الحروفِ الهجائيَّةِ، وغالبُها سارَ على الترتيبِ الألفبائي؛ ككتابِ مفرداتِ ألفاظِ القرآنِ، للرَّاغبِ الأصفهانيِّ (ت: بعد ٤٠٠) .

الكلمات المفتاحية غريب –القرآن – الأسلوبية – التوجيه –البلاغي .

Stylistic guidance for the stranger of the Qur'an "An analytical study"

Karim Muhammad Muhammed Siddik
Department of Critical Studies, Faculty of Arts, Alexandria University Arab Republic of Egypt.
dockarimseddik@gmail.com:E-mail

Abstract

The research subject is a study of the strangeness of the Qur'an at the lexical, morphological and phonetic levels, which are stylistic investigations to show the suitability of these words to their position in the Qur'anic text. Using, and according to the Qur'anic text beautiful and majestic, it is the word of God (Almighty and Glorious is He), so the choice of words in the Qur'anic text is not comparable to eloquence and elucidation.

The method I have deemed appropriate for this topic is the Analytical Method; As the research will require reading and analyzing the Qur'anic texts to find out the strange pronunciation in the Qur'anic text, while clarifying the aesthetics of the word in its context and proving that it is the best in the performance of the meaning in its entirety.

the first: to follow the order of the words in the surahs, beginning with Surat Al-Fatihah, and concluding with Surat An-Nas.

The second: the arrangement of the Qur'anic words on the alphabet, and most of them proceeded according to the alphabetical arrangement; As a book of the vocabulary of the words of the Qur'an, by Al-Ragheb Al-Isfahani (T.: After 400).

Keywords strange Qur'an - stylistics - rhetorical guidance.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلامًا على عبادِه الذين اصطفى، لا سيّما عبده المصطفى، وآله وصحبه المستكملين الشرفَ، أما بعد، فقد لاقى غريب القرآن اهتماما شديدا من قبل علماء اللغة، فتارة يُدرس في ثنايا التفسير، وتارة يفرد بالدراسة في دواوين مستقلة، بل وتلقاه علماء البلاغة بالدراسة محاولين إماطة اللثام عن مكنون إعجازه وما حواه من جماليات، وقد كانت رسالتي في الماجيستير حول غريب الحديث الشريف – على صاحبه الصلاة والسلام – حيث تناولته بالدراسة مبينًا كيف كان في سياقه هو الاختيار الدال على المعنى المقصود ، ثم عزمت على إفراد غريب القرآن بدراسة مستقلة في هذه الدراسة التي بين أيدينا، متكئًا على الشق النظري في رسالة الماجيستير، مكملا بحثي بعد ذلك بإيراد ثلة من غريب القرآن متناولًا إياها بالدراسة الأسلوبية التي تعنى بالكلمة على المستوى الصرفي والصوتي والمعجمي .

تظهر عناية القرآن الشديدة باختيار اللفظ المناسب للسياق من خلال أول نداء للمؤمنين في القرآن، حيث يقول الله – عز وجل – في سورة البقرة : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا[1] " وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَقُولُونَ رَاعِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنَ الْمُرَاعَاةِ أَيْ أَرْعِنَا سَمْعَكَ، أَيْ فَرِّغْ سَمْعَكَ لِكَلَامِنَا، يُقَالُ: أَرْعَى إِلَى الشَّيْءِ، وَرَعَاهُ، وَرَاعَاهُ، أَيْ

[1] سورة البقرة اللآية ١٠٤ .

أَصْغَى إِلَيْهِ وَاسْتَمَعَهُ، وَكَانَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ شَيْئًا قَبِيحًا بِلُغَةِ الْيَهُودِ، وَقِيلَ: كَانَ مَعْنَاهَا عِنْدَهُمُ اسْمَعْ لَا سَمِعْتَ " [٢].

" وَقِيلَ: هِيَ مِنَ الرُّعُونَةِ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُحَمِّقُوا إِنْسَانًا قَالُوا لَهُ: رَاعِنَا بِمَعْنَى يَا أَحْمَقُ! فَلَمَّا سَمِعَ الْيَهُودُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: كُنَّا نَسُبُّ مُحَمَّدًا سِرًّا، فَأَعْلَنُوا بِهِ الْآنَ، فَكَانُوا يَأْتُونَهُ وَيَقُولُونَ: رَاعِنَا يَا مُحَمَّدُ، وَيَضْحَكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَسَمِعَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَفَطِنَ لَهَا، وَكَانَ يَعْرِفُ لُغَتَهُمْ، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: لَئِنْ سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدِكُمْ يَقُولُهَا لِرَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، فَقَالُوا: أَوَلَسْتُمْ تَقُولُونَهَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾[٣] " [٤] .

فقد بلغت عناية الشرع بالألفاظ لدرجة أن جعل النداء الأول في ترتيب القرآن بحسب الورود في المصحف هو لبيان مدى أهمية اختيار اللفظ المناسب للسياق، والعدول عن اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى إلى لفظ أخر لا يحتمل ذلك .

أسباب اختيار الموضوع

دراسة الكلمة القرآنية وبيان جماليتها في موقعها من الأسباب المعينة على فهم كتاب الله ، كما أن مثل هذه الدراسات من شأنها أن تبين للباحثين أوجه جديدة في إعجاز القرآن، ذلكم الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

---

[٢] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – تفسير البغوي – ج١ ص١٥٢ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ ١٤٢٠ هـ .

[٣] سورة البقرة الآية ١٠٤ .

[٤] تفسير البغوي – ج١ ص١٥٢ .

المنهج المتبع في الدراسة

المنهج الذي ارتأيته مناسبًا لهذا الموضوع هو المنهج التحليلي؛ حيث إن البحث سيتطلب قراءة النصوص القرأنية وتحليلها للوقوف على اللفظ الغريب في النص القرآني ، مع بيان جماليات الكلمة في سياقها وإثبات كونها هي الأفضل في أداء المعنى في جملتها .

أهم الدراسات السابقة

اعتنى الأستاذ الدكتور عبد الحميد هنداوي بهذا المبحث وله فيه عدة دراسات من بينها :

١- إعجاز الكلمة القرآنية دراسة أسلوبية بلاغية – مؤسسة العلياء للنشر والتوزيع – القاهرة .

٢- الإعجاز الصوتي في القرآن – الدار الثقافية للنشر – القاهرة .

٣- الإعجاز الصرفي في القرآن – المكتبة العصرية – بيروت .

الكلمات المفتاحية

غريب القرآن – الأسلوبية – التوجيه البلاغي .

ملخص البحث باللغة العربية

مادة البحث هي دراسة لغريب القرآن على المستوى المعجمي والصرفي والصوتي والتي هي مباحث علم الأسلوب لبيان مدى ملاءمة هذه الكلمات لموقعها من النص القرآني ، فبرغم غرابة هذه الكلمات إلا أنها لعبت دورا في سياقها لا يمكن أن يؤديه غيرها من كلمات، حتى وإن بدا غيرها أكثر شيوعا واستعمالًا ، وحسب النص القرآني جمالا وجلالًا أنه كلام الله (عز وجل) ، فاختيار الكلمات في النص القرآني لا يضاهى فصاحة وبيانًا .

Abstract

The research subject is a study of the strangeness of the Qur'an at the lexical, morphological and phonetic levels, which are stylistic investigations to show the suitability of these words to their position in the Qur'anic text. Using, and according to the Qur'anic text beautiful and majestic, it is the word of God (Almighty and Glorious is He), so the choice of words in the Qur'anic text is not comparable to eloquence and elucidation.

تعريف الغريب

الغريب لغة : جمع غرباء ، من غَرُبَ عن وطنه غرابة وغرْبةً: ابتعد عنه وغَرُبَ الكلام غرابةً: غمض وخفي [٥].

واصطلاحاً : " ما خالف الشائع المألوف وتباعد عنه " [٦]. فهو ما يخفى معناه من المتون؛ لقلة استعماله ودورانه على الألسن، بحيث يبعد فهمه ولا يظهر إلا بالتنقيب عنه فى كتب اللغة. فكتبُ غريبِ القرآنِ تُعْنَى بدلالةِ ألفاظِه، دونَ غيرِها من المباحثِ المتعلقةِ بالتَّفسيرِ أو المعاني. وهو جزءٌ من علمِ معاني القرآنِ؛ لأنَّ علمَ معاني القرآنِ يقومُ على بيانِ المفرداتِ أوّلاً، ثُمَّ يُبيِّنُ المعنى المرادَ بالآيةِ، مع الاعتناءِ بأسلوبِ العربِ الذي نزلَ به القرآنُ.

قال الزركشي: " ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى"[٧]

أهم المؤلفات في علم غريب القرآن[٨]

سارت المؤلفاتُ في غريبِ القرآنِ في ترتيبِها على طريقتين:

الأولى: السَّيرُ على ترتيب الألفاظِ في السورِ، مبتدئةً بسورة الفاتحة، ومختتمةً بسورةِ النَّاس .

---

[٥] مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط – ج٢ ص٦٤٧ – دار الدعوة – ط١ .

[٦] د/ محمود نحلة – لغة القرآن الكريم في جزء عم – دار النهضة العربية – بيروت – ط١ ١٩٨١ م .

[٧] أبو عبد الله بدر الدين الزركشي – البرهان في علوم القرآن – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاؤه – ج١ ص٢٩٢ .

[٨] https://islamqa.info/ar/answers

الثانية: ترتيبُ الألفاظِ القرآنيَّة على الحروفِ الهجائيَّةِ، وغالبُها سارَ على الترتيبِ الألفبائي؛ ككتابِ مفرداتِ ألفاظِ القرآنِ، للرَّاغبِ الأصفهانيِّ (ت: بعد ٤٠٠) .

وقد أُفرد علم الغريب بمصنفات خاصة في التعريف به، وبكتبه، منها:

١- غريب القرآن، رجاله ومناهجه، د. عبدالحميد سيد طلب.

٢- علم غريب القرآن، مراحله، ومناهجه، وضوابطه، لإبراهيم بن عبدالرحيم حافظ حسانين.

وقد قاربت المصنفات في الغريب على ثلاثمائة مصنف كما عده من ألّف في الغريب ومنها :

١- (مجاز القرآن)، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) ، وهو أصل لما جاء بعده.

٢- (غريب القرآن)، لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) .

٣- غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب) لأبي بكر السجستاني (ت ٣٣٠ هـ) ، وهو من أشهر كتب الغريب، وأحسنها، وقد رتب على حروف المعجم، كما صنع له بعضهم ترتيب على السور.

٤- (المفردات)، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، وهو من أشهر كتب الغريب، وأحسنها ، وأكثرها دورانًا في المصنفات والعزو.

٥- (تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) صاحب التفسير، ويمتاز الكتاب بحسن العبارة، وسهولتها على جلالة مؤلفه، وإمامته.

٦- (المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد حسن حسن جبل (ت ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، وهو كتاب معاصر، جليل القدر، حرر فيه مؤلفه المفردات، وأرجعها إلى أصولها مع عناية بالسياق .

الغريب في دراسة البلاغيين

عُني البلاغيون قديمًا وحديثا بالغريب وجدوى استعماله في الحديث، وتباينت نظرتهم حوله ، وهاأنا ذا أطوّف ببعض كتبهم عساني أصل إلى دراسة تميط اللثام عن حقيقته ، والبلاغيون قد أفردوا دراسته في حديثهم عن الفصاحة وشروطها ، حيث قد وضعوا شروطا لفصاحة الكلمة فجعلوا منها خلوها من الغرابة ، والابتذال ، وتنافر الحروف ، ومخالفة العرف ، وكثرة الحروف الذي ينشأ عنه غرابة في نطق الكلمة [٩].

تلك هي أهم العيوب التي تخل بفصاحة الكلمة المفردة في تصور بعض البلاغيين ، وهو تصور يشوبه بعض القصور ، لأنه يعني أن ألفاظ اللغة تنقسم إلى قسمين لا ثالث لهما ولا تداخل بينهما : فصيح وهو ما برئ من تلك العيوب ، وغير فصيح وهو ما كان فيه عيب أو أكثر منها ، وهذا مما لا يمكن التسليم به على إطلاقه ، فالفصاحة أو الجمال أو القبح أو الوضوح أو ما إلى ذلك ليست خواصًا ذاتية للألفاظ ، بل هي صفات عارضة تكتسبها الألفاظ في سياقاتها فاللفظة الواحدة قد تكون فصيحة في سياق وغير فصيحة في سياق آخر [١٠].

<u>الباقلاني</u>

نظرة الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) إلى الغريب قد اتسمت بأنها نظرة متوازنة؛ فهو محمود عنده إذا دعت إليه الحاجة ، أما إقحامه في الكلام بلا داع أو مبرر فهو ضرب من الخروج عن الفصاحة ومباينة للبلاغة فنراه

---

[٩] انظر ابن سنان الخفاجي – سر الفصاحة – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ص٦٤ وما بعدها .

[١٠] انظر د حسن طبل – د عبد الرحمن فودة – البلاغة العربية مصطلحات ومفاهيم – ألفا للنشر والتوزيع – بدون تاريخ – ص ١٩ .

يقول: " والكلام الغريب واللفظة الشديدة المباينة لنسج الكلام قد تحمد إذا وقعت موقع الحاجة في وصف ما يلائمها، كقوله عز وجل في وصف يوم القيامة: ﴿ يَوْمَاً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴾ [١١]، فأما إذا وقعت في غير هذا الموقع، فهي مكروهة مذمومة، بحسب ما تحمد في موضعها " [١٢]فهو يمدحها أو يذمها حسب موقعها من السياق وحسب حاجة النص إليها .

فنظرته للغريب قد اتسمت بالموضوعية والتزمت الحيادية ؛ حيث لم يرفضه بالكلية، بل يرى أن السياق الشديد قد يحتاجه أحيانًا فالمعاني البسيطة تحتاج لنظيراتها من الألفاظ ، والمعاني الفخمة تحتاج لمثيلاتها من الألفاظ ، فالألفاظ عنده كالأوعية للمعاني ، فلا يضطلع للمعنى العظيم إلا اللفظ العظيم وإن كان غريبًا فإن الحاجة قد دعت إليه .

ونراه يقول : " ويجب أن يتنكب ما كان عاميّ اللفظ ، مبتذل العبارة، ركيك المعنى، سفسافي الوضع، مجتلب التأسيس على غير أصل ممهد، ولا طريق موطد. وإنما فضلت العربية على غيرها، لاعتدالها في الوضع . لذلك وضع أصلها على أن أكثرها هو بالحروف المعتدلة، فقد أهملوا الألفاظ المستكرهة في نظمها، وأسقطوها من كلامهم، وجعلوا عامة لسانهم على الأعدل. ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي، لأنهم بدءوا بحرف وسكتوا على آخر، وجعلوا حرفاً وصلة بين الحرفين، ليتم الابتداء والانتهاء على ذلك" [١٣].

---

[١١] سورة الإنسان الآية ١٠ .

[١٢] الباقلاني – إعجاز القرآن – ص١٧٧ – دار المعارف – مصر – ١٩٩٧.

[١٣] المصدر السابق – ص١١٦ – ١١٧ .

فحديثه كله منصب على ذم اللفظ المستكره لدى سامعه ، المستقبح عند كل أحد ، الذي تنافرت حروفه أو ركبت على هيئة غير محمودة ، وهو لا شك نوع من الغرابة التي تعتري اللفظ المفرد ، فالباقلاني بذا قد أشار إلى الغريب ، وقسمه ضمنيا إلى غريب معجمي خفي على سامعيه ، وسوغ استعماله إذا استدعى السياق ، وغريب من أجل استكراه اللفظ لا يحسن استعماله عنده ألبتة .

عبد القاهر الجرجاني

أما إذا نظرنا لكلام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) حول الغريب وجدوى استعماله فنراه يقول " ومن ثَمَّ لا يجوزُ لنا أنْ نَعْتدَّ في شأنِنا هذا بأنْ يكونَ المتكلِّمُ قد استَعملَ من اللغتين في الشيءِ ما يقالُ: "إنه أفصحهما"، أو بأن يكونَ قد تَحفَّظ مما تخطئ فيه العامَّة، ولا بأن يكونَ قد استعْمَلَ الغريبَ؛ لأنَّ العلمَ بجميع ذلك لا يعدو أن يكونَ عِلْماً باللغةِ، وبأَنْفُس الكَلِمِ المفردة، وبما طريقُهُ طريقُ الحِفْظِ، دونَ ما يُستَعانُ عليه بالنظَرِ، ويُوصَلُ إليه بإعمالِ الفِكْر " [١٤].

فعبد القاهر في كتابه يؤصل لنظرية النظم ويعلل لقضية إعجاز القرآن ، ويرى أن غرابة الكلمة أو شيوعها لا علاقة له بفصاحتها ، وهو لا يرى أن الغريب في القرآن هو سبب إعجازه ولكنه لا ينكر وجوده ، فنراه يقول : " وأنتَ تقرَأُ السورةَ من السور الطوال فلا تجد فيها من الغريب شيئًا، وتتأمل ما جَمَعهُ العلماءُ في غَريب القرآن؛ فترى الغريبَ منه إلا في القليلِ، إنما كان غريباً من أَجْل استعارةٍ هي فيهِ، كمثْل ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي

---

[١٤] عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ٢٠٠١ م – ص٢٥٣ .

قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٩٣]، ومثْل: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ [يوسف: ٨٠]، ومثْلِ ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤]، دون أن تكون اللفظةُ غريبةً في نفسها؛ إنما ترى ذلك في كلماتٍ معدودةٍ كمِثْل: ﴿ عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا ﴾ [ص: ١٦] و ﴿ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر: ١٣]، و ﴿ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٤].فغريب اللغة، ليس له مكان في الإعجاز " [١٥].

فهو يعوّل على دور الكلمة في السياق ، سواء كانت مما ذاع بين الناس أو مما غرب، ينظر لها على كونها كلمة قد تؤتي ثمرتها المرجوة في سياق وقد تثقل في سياق آخر دون النظر لشيوعها من عدمه .

<u>الغريب عند البلاغيين المعاصرين</u>

يرى الدكتور / حسن طبل أن النظر إلى الغرابة وتنافر الحروف كاثنين من العيوب التي تخل بفصاحة الكلمة المفردة في تصور كثير من البلاغيين قديمًا هو تصور يشوبه غير قليل من القصور ، إذ هو يعني أن ألفاظ اللغة تنقسم إلى قسمين لا تداخل بينهما : فصيح وهو ما برئ من تلك العيوب ، وغير فصيح وهو ما كان فيه عيب منها ، وهذا مما لا يمكن التسليم به على إطلاقه ، فالفصاحة عنده أو الجمال أو القبح أو الوضوح أو ما إلى ذلك ليست صفات أو خواص ذاتية للألفاظ ، بل هي صفات عارضة تكتسبها الألفاظ في سياقاتها ، ومعنى ذلك أن اللفظة الواحدة قد تكون فصيحة في سياق وغير فصيحة في سياق آخر [١٦].

---

[١٥] عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – ص٢٥٤ .

[١٦] انظر حسن طبل – البلاغة العربية مصطلحات ومفاهيم – ألفا للنشر والتوزيع – بدون تاريخ – ص١٩ .

لذا فإن تنافر الحروف وثقلها أو الغرابة ليست – على إطلاقها – عيوبًا تخل بفصاحة الكلمة ، فالحكم على الكلمة بالفصاحة أو بضدها لا يتعلق عنده بخصائصها الصوتية والدلالية في ذاتها ، بل بمدى ملاءمة تلك الخصائص أو عدم ملاءمتها للسياق الذي ترد فيه ، فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ ، وإذا استحقت المزية استحقتها في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في اللفظ [١٧].

في ضوء هذه النظرة للدكتور / حسن طبل نستطيع القول بأن تنافر الحروف والغرابة ليست – على إطلاقها – عيوبًا تخل بفصاحة الكلمة ، فالحكم على الكلمة بالفصاحة أو بضدها لا يتعلق بخصائصها الصوتية والدلالية في ذاتها ، بقدر ما يتعلق بمدى ملاءمتها للسياق الذي تأتي فيه ، أو بمعنى أدق فهو يعوّل على السياق في المقام الأول ، ثم على خصائص الكلمة الصوتية والدلالية ثانيًا .

أما الدكتور/ محمد أبو موسى فقد قصر الغرابة التي تخرج الكلام عن طور الفصاحة ومضمار البلاغة على الكلمات المتنافرة صعبة النطق التي يمجها السمع، وعلى الكلمات التي ليس لها وجود حتى في المعاجم كالقاموس ونحوه، الكلمات المندثرة من لغة القوم، فنراه يقول : " أما فصاحة الكلمة، فهي أن تكون لينة سهلة النطق تتجاور أصواتها تجاورا لينا هادئا ملسا، وأن تكون مألوفة جرت على الألسنة، ورنت أصداؤها في محافل الشعر والأدب، وأن تكون واردة على قواعد تصريف الكلمات، وهذا معنى

---

[١٧] انظر المرجع السابق – ص٢٠ .

قولهم: أما فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة، ومخالفة القياس الصرفي" [١٨].

يضرب مثلا لما يقوله بكلمة (الهعخع) فقد جمعت الشرطين اللذين وضعهما للغرابة المخلة بالفصاحة؛ لتنافر حروفها من جهة، ولعدم وجودها في المعاجم من جهة أخرى، فإذا تنافرت حروف الكلمة كان ذلك معيبا، ومخلًّا بفصاحتها، وقد ذكروا أن (الهعخع) اسم شجر، ولم يوجد في لسان العرب، ولا في تاج العروس ولا في القاموس، ويرى أنه ليس اسم شجر؛ لأن أسماء الشجر تكون في الغالب كلمات دوارة، وهذه كلمة ثقيلة لا يستطاب دورانها على الألسنة، إلا أن يكون شجرا كريها مرا، لا يطاق طعمه، كأنه هذه الكلمة التي لا يطاق النطق بها، والتي تحكي صوت المتقيئ، ولم لا يكون لفظا مخترعا للثقل ، وأنه لا معنى له ؟ وهم يخترعون كلمات للمعاياة ، قال ابن الشميل : " إنها معياة ولا أصل لها "[١٩].

ويعلل أبو موسى سبب تنافر الحروف بتقارب مخارجها، فالانتقال من الحلق إلى طرف اللسان مثلا أيسر من الانتقال بين الحروف التي تخرج من الحلق كما في كلمة (الهعخع)، فإن الهاء والعين والخاء كلها تخرج من الحلق، ومن ثم فإن أبرز سبب يذكر لتنافر الحروف هو قرب مخارجها ، أي أن تكون حروف الكلمة المتتابعة تخرج من مخارج قريبة جدًا ، وهذا يشبه مشي المقيد، أي أن أعضاء النطق بعد الفراغ من إخراج الصوت يضطرها

---

[١٨] محمد أبو موسى – خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني – ص٦١ – مكتبة وهبة – مصر – الطبعة السابعة .

[١٩] انظر المرجع السابق – ص ٦١ – ٦٢ + يحيى بن حمزة العلوي – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – المكتبة العصرية – بيروت – ط١ – ج٣ ص١٢٤ .

الحرف الثاني إلى أن تعود إلى مخرج قريب جدا من الأول، وكان يسهل عليها أن تنتقل إلى مخرج أبعد، كأن تثب من الحلق إلى اللسان مثلا [٢٠].

ويرى أبو موسى أن العربية لغة تجنح إلى السهولة واليسر، لذا تعمد إلى الإدغام عند حدوث ثقل في النطق بالكلمة بسبب التماثل والتجانس والتقارب ، فالعرب يكرهون الثقل، وقد بنيت لغتهم على الخفة، ولذلك تراهم يعمدون إلى إدغام الحرفين المتماثلين، والمتقاربين مثل (شدّ) وأصله شدد ومثل (اضطر) فإنها، وإن كتبت ضادًا وطاء، فالنطق يجمعهما في صوت واحد مدغم، فإذا فصل بين الحرفين المتقاربين حرف زال الثقل فالعرب لا يعرفون كلمة (هخ) بكسر الهاء وسكون الخاء، وهو حكاية صوت المتنخم أي الذي يدفع النخام من صدره، أو أنفه، وذلك لثقلها بقرب الهاء والخاء، فلما وقعت الياء بينهما، وفصل بين المخرجين تصرفت الكلمة وجرت على لسانهم، فقالوا: هيخ الإبل أي أناخها، والتهيخ إناخة الإبل، أو دعاء الفحل للضراب [٢١].

ثم ينتقل أبو موسى للحديث عن سبب آخر لتنافر الحروف غير قرب المخرج، وهو تنافر منشؤه عدم قبول الأذن لحروف الكلمة بهذا النحو من التأليف على الرغم من بعد المخارج، بيد أن الحاكم في هذا النوع هو الأذن والذوق السليم، فقد ذكر البلاغيون في مثال تنافر الحروف كلمة (الجرشى) بكسر الجيم، وتشديد الشين بمعنى النفس في بيت المتنبي يمدح سيف الدولة:

---

[٢٠] انظر المرجع السابق – ص ٦٢ + يحيى بن حمزة العلوي – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – ج٣ ص١٢٤ .

[٢١] انظر المرجع السابق – ص٦٢ .

مبارك الاسم أغر اللقب ... كريم الجرشى شريف النسب[٢٢].

فالحروف في كلمة (الجرشي) ليست متقاربة في المخرج، ولكن صوتية الكلمة تعافها الأذن ولاتستسيغها، وبعد الحديث عن التنافر والثقل فإن السياق في بعض الأحيان يحتاج لهذا الثقل الذي يؤدي بدوره دورًا في أداء المعنى بصورة صوتية أوقع في نفس السامع وأشد وطأ على عقله ووجدانه، فينبغي أن يلاحظ أن استعمال هذا المقياس يحتاج إلى وعي وذوق؛ لأن هناك كلمات ثقيلة على اللسان، ولكن ثقلها من أهم مظاهر فصاحتها، حيث إن هذا الثقل يصور معناها بحق .

وذلك ككلمة (أنلزمكموها) في قوله تعالى يحكي مقالة سيدنا نوح عليه السلام لقومه: { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ }[٢٣] ، فكلمة أنلزمكموها، وما فيها من صعوبة في النطق تحكي صعوبة الإلزام بالآيات وهم لها كارهون، وكذلك كلمة فعمّيت وما فيها من الإدغام، والتشديد وكيف تصفان معنى التعمية والإلباس ، فالثقل في بعض الألفاظ ضرورة لما يضفيه على السياق من معان لا تتم إلا به .

ولهذا فأبو موسى لا يجد في كلمة اطلخم في بيت أبي تمام:

قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت ... عشواء تالية غبسا دهاريسا.

مخالفة للفصيح ؛ لأن ثقلها وتداخل حروفها يحكيان الشدة، والاختلاط حين ينبهم الأمر، وتنبعث النوائب العشواء، واطلخم الأمر: اشتد وأظلم،

---

[٢٢] انظر المرجع السابق – ص٦٢ – ٦٣.

[٢٣] سورة هود الآية ٢٨ .

والعشواء: داهية يعشى بها، والغبس: الدواهي السود، والدهاريس: الدواهي[٢٤] .

مما سبق يتبن أن البلاغيين أعقل من أن يضعوا أصلا للفصاحة يخرجون به آيات من القرآن، وجملة صالحة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر شعر طرفة ولبيد وامرئ القيس، والنابغة وزهير وشعراء الطبقات كلهم مما ترى فيه الشعر يوغل في البداوة، حين يلتقي بنوافرها، ويصف غرائبه .

الغريب في دراسة الأسلوبيين

المتأمل لدراسات الأسلوبيين النظرية والتطبيقية يجد أنها قد اعتنت بالكلمة بشكل عام ، فهي لا تفرق بين اللفظ الغريب النادر الاستعمال واللفظ الشائع المتداول ، بل إن دراستهم عامة لكل لفظ استطاع أن يرتقي بالكلام من المستوى اللغوي التقليدي إلى المستوى الأدبي الرفيع، سواء كانت غريبة أم متداولة، لذا فإن حديثنا في هذا الفصل سيكون عن عناية علماء الأسلوب باللفظ بصفة رئيسة باختلاف المستويات التي تناولوها فيه، الصوتية، والصرفية، والمعجمية، مع ذكر نماذج من دراساتهم للفظ الغريب حتى لا نحيد بالبحث عن الوجهة التي سار فيها .

إن علماء البلاغة أو قل بعضهم من لدن الجاحظ (ت ٢٥٥) إلى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١) ومن تابعهم من القرون المتأخرة قد جعلوا الغرابة وقلة الاستعمال أحد العوامل التي عولوا عليها في بيان فصاحة الكلمة وبلاغة الأسلوب من عدمه، بيد أن علماء الأسلوبية قد نظروا إلى اللفظ بصورة أوسع وأعمق، فغضوا الطرف عن شيوعه من عدمه وتأملوه

---

[٢٤] انظر محمد أبو موسى – خصائص التراكيب – ص٦٤ .

من خلال قدرته على أداء المعنى واضطلاعه على أداء دوره في السياق وخدمة النص الذي ينتمي إليه .

والحق أن هذه كانت نظرة الأدباء في العصر الجاهلي وصدر الاسلام للغريب من خلال ما نلمحه من شعرهم وخطبهم حيث استخدموا اللفظ الغريب دون تكلف في الأغلب الأعم فجعلوه كالملح الذي يصلحون به طعامهم ، لا سيما إذا كان هذا الغريب يعبر عما بداخلهم من عواطف .

إن القدماء لم يتعمدوا استعمال الغريب بغرض الإبهام والإغراب بقدر ما أرادوا أن يرتقوا بلغتهم وبثقافة من يسمعونهم أو يقرؤون لهم، ولما له – في بعض الأحيان – من قدرة على إصابة كبد المعنى دون غيره من المترادفات الشائعة، يقول الجاحظ : " ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب. ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج. ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل"[٢٥] وعلى هذا النحو كانت عنايتهم بمعرفة الغريب؛لتسمو لغتهم ولغة من يطلبون نتاجهم الأدبي .

الكلمة بين البلاغة والأسلوبية :

إذا كانت الأسلوبية تحليلًا لغويًا يهتم بالكلمة في المقام الأول ، فمما لا شك فيه أن ثمة جهودًا قيمة للقدامى من اللغويين عامة والبلاغيين خاصة في هذا المجال غير أن هذه الجهود القيمة لم تستطع الدراسات المتأخرة بلورتها وصياغتها بصورة واضحة في صياغتها الأخيرة للدرس البلاغي الذي لم يستطع أن يشعرنا بإدراك هؤلاء البلاغيين للقيمة الفنية للألفاظ على

[٢٥] الجاحظ – البيان والتبيين – ج٣ ص٣٥٩ .

جميع مستوياتها اللغوية التي أهملتها كتب البلاغة النظرية، أو وقفت عند بعضها وقفة عابرة في مبحث الفصاحة، أو في بعض مباحث علم المعاني[٢٦].

إن البحث الأسلوبي قد أولى اللفظة المفردة عناية خاصة على كل مستوياتها، سواء من ناحية الصوت أو الناحية الصرفية أو الناحية المعجمية، كما أن دراسة الكلمة بهذه المستويات يقع في دائرة اهتمام اللغوي والبلاغي كذلك، بيد أن ما ينشده الناقد والبلاغي يتباين عما يبتغيه اللغويون والنحاة؛ فالبلاغي والناقد يبحث في دائرة الصواب عن أكثر الكلمات أداء للمعنى بين الألفاظ التى تصلح جميعا للتعبير عن المعنى فيما يعرف بالتخير الفني، أما اللغويون والنحاة فتختلف وجهتهم حيث يبحثون في دائرتى الخطأ والصواب .

مصطلح (الاختيار) بين البلاغة والأسلوبية :

لقد طابق الأسلوبيون بين الأسلوب وصاحبه فقالوا:" الأسلوب هو الرجل "[٢٧]. فالأسلوب على هذا ما هو إلا سمات تعبيرية مميزة لصاحبه ، فالمبدع يختار ويؤثر من الوسائل التعبيرية التي يختارها من بين أنماط اللغة العديدة ما يصبح سمة مميزة له ، وعلمًا دالًا عليه ، وبصمة خاصة أو صوتًا ينفرد به لا يختلط بغيره من الأصوات ؛ ومن ثم عرفوا الأسلوب بأنه : " طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح والتأثير " [٢٨]أو هو " اختيار واع يسلطه المؤلف على ما توفره اللغة من سعة

---

[٢٦] ينظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص٢٥ – ٢٦ – دار الهاني القاهرة ٢٠١١.

[٢٧] وهو تعريف ذائع للكاتب الفرنسي جورج لويس بوفون (ت ١٧٨٨م) – ينظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٢٦ .

[٢٨] د/ أحمد الشايب – الأسلوب – ص٣٦ – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ط٣ .

وطاقات "[٢٩]. ومن ثم فإنه كل اختيار يهدف إلى تحقيق هدف معين ، والاختيار في الكتابة الفنية يعني اختيار طريقة من طرق التعبير اللغوي بهدف توصيل رسالة معينة إلى المتلقي .

والحق أن الأصول النظرية لهذا الاتجاه الذي نحن بصدده تتجذر في تفرقة (دي سوسير) بين اللغة والكلام[٣٠]، فاللغة عند دي سوسير هي مجموعة النظم والرموز المجردة المختزنة في أذهان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة ، أما الكلام فهو التحقق الفعلي لتلك النظم والرموز في استعمال (منطوق أو مكتوب) بعينه . أو هو طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام [٣١].

ومن ثم يمكننا أن نفسر عملية الاختيار الأسلوبي على أساس ثنائية دي سوسير الذي حاول أن يفرق بين اللغة والكلام ، وذلك باعتبار أن البدائل التي يتم الاختيار بينها هي ما يسمح به نظام اللغة ، أما على مستوى الكلام فإن الكلام هو الذي يرجح أو يحتم اختيار أحد هذه البدائل .

وقد نتج عن تفرقة دي سوسير بين اللغة والكلام التفرقة بين الخطاب العادي والخطاب الأدبي ، فالأسلوب على هذا النحو مفارقة أو

---

[٢٩] د/ عبد السلام المسدي – الأسلوبية والأسلوب – ص٧٠ – ٧١ – الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس ١٩٧٧ .

[٣٠] انظر د/ حسن طبل – أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية – كلية دار العلوم – ١٩٩٠ م – ص٣٥ .

[٣١] انظر تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها – دار الثقافة – المغرب – ١٩٩٤ م – ص٣٢ .

انحراف عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري [٣٢]، ويراه د/ شفيع السيد بأنه " انحراف عن نموذج من الكلام ينتمي إليه سياقيا ، هذا النموذج هو نمط معياري تقاس إليه أساليب النصوص التي تتفق معه في السياق " [٣٣]، أو هو " انحراف عن النمط وانتهاك له ومخالفة"[٣٤].

ومن المعلوم أن هذا الاختيار لا يمكن أن يتم بعيدا عن مراقبة السياق واصطحاب قرائنه ذلك لأن " السياق هو نقطة البدء ، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله ، وحينئذ من الواجب رصد السياق ، ثم البحث عن اللألفاظ وعلاقاتها فيه ثانيا "[٣٥].

وبالنظر إلى اللغة العادية واللغة الادبية نجد أن الأولى تتصف بالوضوح والمباشرة والتلقائية فلا تصدر عن وعي أو اختيار ، والغاية منها هي التوصيل ، ومن ثم فهي محددة المعجم لا تحتاج إلى جهد عقلي أو فكري للوصول إلى مضمونها وتشكل معظم النشاط اللغوي الإنساني، ومن ثم فإنها تقدم العناصر العامة في لغة الحياة ، أما اللغة الأدبية فهي تصدر عن ملكة خاصة عند المبدع وتخاطب الوجدان وتهدف إلى التأثير في المتلقي،

---

[٣٢] انظر د/ سعد مصلوح – الأسلوب دراسة لغوية إحصائية – دار البحوث العلمية – ١٩٨٠ – ص٢٧ .

[٣٣] د/ شفيع السيد – الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي – دار الفكر العربي – ط ١ – ١٩٨٦ – ص٣٨ .

[٣٤] د/ فتح الله سليمان – الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية – الدار الفنية للنشر والتوزيع – ص٣٤ .

[٣٥] د/ محمد عبد المطلب – البلاغة والأسلوبية – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – ط١ ١٩٩٤ – ص ٣٥٧ .

ومن ثم فهي تصدر عن وعي واختيار للالفاظ والمعاني ، وقد تحتاج إلى إمعان النظر وإعمال الفكر ، وهي لغة فردية خاصة تستخدم نفس عناصر اللغة العادية ولكن لتقديم هياكل جديدة ، وهي بذلك تظهر الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة أي إنها (خلاقة) بتعبير تشومسكي ، والمعنى فيها ليس مطابقًا لتلك الحصيلة اللغوية العادية ، وإنما ينفرد بتلك الخصوصية التي تتسم بها اللغة الأدبية [٣٦].

الاختيار عند البلاغيين :

إذا كان نظر الأسلوبيين للأسلوب على أنه اختيار قد أثمر ما يعرف لديهم بالتميز أو التفرد الأسلوبي فإننا نستطيع أن نقرر أن هذا التميز أو التفرد الأسلوبي الذي يميز المستوى الفني من الكلام هو ما عبر عنه البلاغيون القدامى بحسن التخير للفظ ، حتى إن بعضهم قد قصر البلاغة على حسن التخير [٣٧].

وهذا ما انتهى إليه كلام عبد القاهر في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك ، حيث ينتهي كلامه في هذا المقام إلى أنه " لا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به ..." [٣٨].

---

[٣٦] انظر د/ محمد العبد – اللغة والإبداع الأدبي – دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع – القاهرة – ط ١– ١٩٨٩ م ص٢١ + د/ عبد الحكيم راضي – النقد اللغوي في التراث العربي – مجلة فصول عدد تراثنا النقدي ج٢ ع١ ص٨٣ + د / عبده الراجحي – مقالات – إعداد : سمير إسماعيل / محمود عبد الصمد – دار الصحابة للتراث بطنطا – ط١ – ٢٠١١ – ص٧٩ .

[٣٧] انظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٣٠ .

[٣٨] عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – ص٣٨ .

وتعريف البلاغة بأنها حسن التخير للفظ قد قال به بلاغيون آخرون غير عبد القاهر كذلك حيث عرفوها بأنها " تخير اللفظ في حسن الإفهام " [٣٩].

من ثم نتبين من كلام عبد القاهر وغيره من البلاغيين والنقاد أن المستوى الفني أو البلاغي من المعاني التي تدل عليها الألفاظ أساسه الأول هو حسن التخير للكلمة وموافقتها موضعها من الكلام بالتخير بين البدائل المتاحة التي تنأى بالخطاب الأدبي عن اللغة التقليدية إلى اللغة الفنية المتميزة ، وهو ما تتلاقى فيه البلاغة مع الأسلوبية .

فعبد القاهر يفرق هنا بين نوعين من المعاني ؛ المعنى العادي والمعنى الفني ، فالمعنى الأول : هو ما يجبرك على لفظه ولا تجد للتخير سبيلا على حد عبارة عبد القاهر الجرجاني . ذلك أن من المعاني ما هو سطحي ساذج ومكشوف واضح له لفظ واحد لا يشترك معه غيره في الدلالة عليه ، وذلك كما لو أردت أن تعبر عن حضور زيد في الماضي فتقول (حضر زيد) .

فمثل هذا ونحوه من المعاني الوظيفية قد لا يستطيع المبدع التعبير عنه إلا بصيغة واحدة لا يحتمل المعنى غيرها ، أما المعنى الفني أو البلاغي فمداره على حسن الاختيار للألفاظ ، فالمعاني الفنية معان دقيقة اختيرت ألفاظها من بين بدائل عديدة يمكن أن تعبر عن أصل المعنى المراد أو عن المعنى في أبهى صورة ، وأحلى حلة ، وما يكون أكثر مواءمة وموافقة

---

[٣٩] الجاحظ – البيان التبيين – ج١ ص٦٣ .

للمعنى الفني الدقيق الذي يريد أن يعبر عنه أو يبالغ فيه أو يعمقه أو يعرضه في صورة طريفة لم يسبق إليها [٤٠].

وهذا الذي أثبتناه ينطبق عند البلاغيين على الألفاظ في جميع مستوياتها اللغوية سواء المستوى المعجمي أو المستوى الصوتي أو المستوى الصرفي كما سيظهر من النماذج التطبيقية التي اعتنى البحث بعرضها ودراستها .

مصطلح (العدول) بين البلاغة والأسلوبية :

ثمة أساس آخر للتوظيف الفني للكلمة نستطيع أن نلمح وقوف البلاغيين عليه واعتماده لديهم أساسًا للكشف عن القيمة الفنية للكلمة ، وهذا الأساس الثاني هو ما أطلق عليه في تراثنا البلاغي مصطلح العدول . فإذا كانت البلاغة ترجع في سائر تعريفات البلاغيين إلى حسن تخير اللفظ ، فإنه مما يجدر بنا التنبيه إليه أن هذا التخير أو الاختيار للفظ يمثل في غالب الأحيان نوعًا من العدول .

فالاختيار في حقيقته إنما هو عدول عن المستوى النمطي أو العادي من اللغة إلى المستوى الفني من الكلام ، وقد يمثل تخير اللفظ نوعًا من العدول عن النظام اللغوي أو عن الاستخدام الشائع ، أو عدولا داخليًا وهو ما يسميه ريفاتير بالعدول السياقي [٤١].

---

[٤٠] ينظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٣١ + د / مديحة السايح – المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي – دار الثقافة العربية – القاهرة – ط٢ ص٦٠.

[٤١] انظر مديحة السايح – المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي – دار الثقافة العربية – القاهرة – ط٢ – ٢٠١٣ م ص ٧ – ١٧ .

أليس العدول عن لفظ شائع قد لاكته الألسن إلى لفظ نادر قليل الاستعمال يدخل في هذا الباب الذي نحن بصدده شريطة أن يؤدي اللفظ الغريب في المعنى ما لم يستطع غيره من الشائع أن يؤديه ، إن العدول عن الشائع المتعارف عليه بين الناس –سواء من له عناية بالأدب وغيره – إلى مستوى أرقى من الكلام لا بد أن يحمل في طياته شيئًا من الألفاظ الغريبة التي لا يعرفها سوى أهل هذا الفن ويجهلها من عداهم ، فعدولنا عن الشائع والتنقيب عن المستوى الأدبي من الكلام لا يسلم أبدًا من استعمال الغريب ، وهو بلا شك محمود إذا قام بدوره في خدمة السياق وانتزاع الأسلوب الأدبي من بين الأساليب الشائعة .

وفي الحقيقة أن النظرة إلى العدول على أنه عدول عن المستوى النمطي إلى المستوى الفني نظرة لا تكاد تفرق بينه وبين الاختيار أما العدول الجدير بإفراده بمصطلح خاص يميزه عن الاختيار – وإن كان يشترك مع الاختيار في كونه انتقاء للفظ وإيثارًا له على غيره – هو العدول عن الأصل اللغوي، وهو ما عرف في التراث اللغوي والبلاغي بالمجاز ، والنقل ، والانتقال ، والتحريف ، والانحراف ، والصرف ، والانصراف ، ومخالفة مقتضى الظاهر [٤٢].

وهذه الألفاظ التي عبر بها هؤلاء البلاغيون واللغويون عن العدول والنقل قد عبرت بها الدراسات الحديثة أيضا فنجد عندهم مصطلحات مثل : الانحراف ، والانزياح ، والاختلال ، والانتهاك ، والتجاوز ، والمخالفة ، واللحن ، وخرق السنن ، والإطاحة ، والتحريف ...إلخ [٤٣].

---

[٤٢] انظر المرجع السابق – ص ٧ – ١٧ + د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٣٢ .

[٤٣] انظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٣٣ .

فإذا كان النظر إلى الأسلوب من زاوية المنشِئ قد أثمر مقولة الاختيار ، فإن النظر إليه من زاوية النص أو الرسالة قد أثمر مقولة مقولة العدول أو ما أسموه بمصطلحات عديدة أبرزها الانحراف ؛ إذ يعتمد تعريف الأسلوب بالنظر إلى النص على أنه نوع من الخطاب الأدبي المغاير للخطاب العادي ، وقد يكسر القواعد اللغوية الموضوعة أو يخرج عن النمط المألوف للغة ، أو يبتكر صيغًا وأساليب جديدة ، أو يستبدل تعبيرات جديدة ليست شائعة بأخرى قديمة ، أو يقيم نوعًا من الترابط بين لفظين أو أكثر ، أو يقيم نوعًا من الترابط بين لفظين أو أكثر ، أو يستخدم لفظا في غير ما وضع له .

العدول في تراثنا البلاغي :

نستطيع أن نقرر أن ما أدلى به البلاغيون في تراثنا البلاغي لم يكن بعيدًا كل البعد عما قررته تلك الدراسات الحديثة؛ حيث نجد جذور الوعي بظاهرة العدول عند كل من أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ)، والفراء (ت ٢٠٧ هـ)، والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، وأبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، والباقلاني (٤٠٣ هـ)، وغيرهم كثير .أما الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فقد كان له النصيب الأعظم من الالتفات إلى تلك الأسس التي قام عليها التوظيف البلاغي للكلمة في القرآن الكريم، وتبعه على هذا النهج كافة من جاء بعده من المفسرين ، حتى إن بعضهم لا يزيد في كثير من المواضع على أن يحكي عبارة الزمخشري في بيان ما اشتملت عليه الآية من اختيار أو عدول [٤٤].

---

[٤٤] انظر المرجع السابق – ص ٣٧ .

مستويات الدلالة بين البلاغة والأسلوبية :

المستوى المعجمى :

إذا تجاوزنا كتب اللغة المصنفة لرصد الدلالات المعجمية الوضعية لألفاظ اللغة، فإننا نجد بدايات البحث فى ذلك – على ضفاف النص القرآنى – لدى كل من أبى عبيدة (ت ٢١٠ هـ) فى كتابة مجاز القرآن ، والفراء (ت ٢٠٧ هـ) والأخفش فى معانى القرآن ، والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) فى كتابة الكامل ، وابن قتيبة فى كتابه تأويل مشكل القرآن ، كما نجد الاهتمام الواضح بتحرير الفروق الدقيقة بين الألفاظ لدى أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) فى كتاب الفروق، كل ذلك فى مواضع تنأى عن الحصر لغلبة الاهتمام بالدلالة المعجمية فى هذه الدراسات . والملاحظ أن الغالب على هذه الدراسات هو بيان المعنى التفسيري للكلمة ، ودلالاتها الوضعية التى وضعت لها في اللغة، والتى نادرًا ما يتخطاها المفسر إلى دلالاتها ومعانيها المجازية التى وظفت بها فى النص القرآنى[٤٥] .

إلا أننا إذا ما تجاوزنا هذه الدراسات اللغوية التي نشأت فى الأصل لخدمة النص القرآنى إلى الدراسات النقدية التى ثارت حول الشعر فى عصور ازدهاره فسوف نجد تحولا كبيرًا فى استنطاق الكلمات ومحاولة استكناه دلالاتها الفنية لدى كل من الآمدي والقاضي الجرجاني وأبي بكر الصولي وغيرهم مما عرفوا بدراساتهم النقدية للنصوص الشعرية .

هذا وقد تجلى البحث البلاغى على المستوى المعجمى فيما عرف عند بعض البلاغيين بباب الفرائد : وهو باب جعلوه مختصًا بالفصاحة دون البلاغة لأن مفهومه إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من

---

[٤٥] انظر المرجع السابق – ص ٥٩ .

حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته، حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعزّ على الفصحاء غرامتها [٤٦].

وهو ما يعضد فكرة بحثنا ، فالكلمة الغريبة قد تحمد في السياق من هذا الوجه، وجه المناسبة والملاءمة والانتقال بالكلام من المستوى العادي للكلام إلى المستوى الأدبي من خلال العدول عن الحقيقة إلى المجاز ، وهو نوع من الغريب لا يمكن إغفاله .

وقد جاء فى الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها، منها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾(سورة الصافات الآية ١٧٧) وانظر فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾(سورة يوسف الآية ٨٠) فألفاظ هذه الجملة كلها فرائد معدومة النظائر، وكقوله عزوجل : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ (سورة سبأ الآية ٢٣) فانظر إلى لفظة(فُزّع) وغرابة فصاحتها، تعلم أن الفكر لا يكاد يقع على مثلها وكقوله تبارك وتعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (سورة غافر ١٩) وهذه الفريدة فى هذه الآية أعجب من كل ما تقدم فأن لفظة (خائنة) سهلة ومستعملة كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها فلما أضيفت إلى (الأعين) حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها فى النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع فى شيء من فصيح الكلام شبهها، وأشباه ذلك فى الكتاب العزيز لا يدخل تحت الحصر، وقد ورد فى السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام مواضع شريفة [٤٧].

---

[٤٦] انظر المرجع السابق – ص ٦٢ .

[٤٧] ينظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٦٢ .

وهذا مجرد مثال يوضح لنا مدى وعي البلاغيين بالدلالة الفنية للألفاظ على المستوى المعجمي ، ولكن لا يقارن ذلك بما توصلت إليه الأسلوبية والبنيوية من استنطاق للألفاظ واستخراج أقصى دلالاتها وطاقتها اللغوية التى يحملها الشاعر على تلك الألفاظ ويشارك السياق فى إضفاء كثير من الظلال عليها .

المستويات اللغوية :

مهما قيل عن تعدد اتجاهات الأسلوبية ومناهجها فإن القاسم المشترك بينها جميعا أنها تنطلق – بشكل أساسي – من لغة النص الأدبي فى قرائتها له، وهذا ما يتضح من تحديد (رينيه ويلك) لما يحتاجه دارس الأسلوب إذ يلزمه معرفة بقواعد اللغة بكل فروعها من أصوات ومعان ومفردات المعجم وبناء الجمل وهو ما يفضي إلى دراسة المعنى والدلالة [٤٨].

وهذا يدل دلالة واضحة على اتفاق كافة الاتجاهات الأسلوبية على تعظيم دور الكلمة والاهتمام به على جميع مستويات الدرس اللغوى صوتيا وصرفيا ومعجميا ونحويا مع الإشارة إلى أننا قد أخرجنا من دائرة بحثنا ذلك المستوى النحوى لأنه يخرجنا من دائرة دراسة الكلمة إلى دراسة التراكيب .

فالكلمة هي المحك الأول فى التحليل الأسلوبي، فهذه الكلمة هى التي تأتي الدراسة الأسلوبية لتجعلها محور بحثها من خلال سياقها الذى وردت فيه، ومن حيث إيحاءاتها الكثيرة المتكاثفة التي أفرزتها، ومن حيث علاقتها الاستبدالية التي يتحدد مجالها فى التعبير الأدبي بوجه خاص؛ لأن هذا التعبير هو الذى يجعل من اللغة استعمالا إراديًا واعيًا ، بل إنه هو الذى يؤكد البنية

---

[٤٨] د/ سامي عباينة – اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث – ص١٦٤ – عالم الكتب الحديث – الأردن – ط٢ – ٢٠١٠ .

الجمالية لمستعمل هذه اللغة من حيث يتيح للمبدع أن يضع بالكلمات ما يصفه الرسام بالألوان والموسيقي بالأصوات .

فالتحليل الأسلوبي يعتمد أساسا على الكلمة، بل لعلها تكون هى الخيط الذى يمسك به الناقد عند بداية التحليل فعلى سبيل المثال يرى (سبتزر) – الذى يعتمد على الحدس فى تحليله الأسلوبي – أن كلمة أو بيت من الشعر قد يتميز فجأة، فإذا بنا نحس تيارًا من الألفة قد نشأ فى تلك اللحظة بيننا وبين القصيدة[٤٩] .

وتبرز عناية الدراسات الأسلوبية الحديثة بالألفاظ من خلال ما أسموه بالتفرد الأسلوبى للمنشئ أو المبدع، وذلك أن لكل فرد معجمه اللغوي المتميز فهو يميل إلى استعمال بعض الكلمات دون بعضها الآخر، وهناك كلمات لا يستعملها على الإطلاق ولكل فرد طريقته الخاصة فى بناء الجمل والربط بينها فهو يستعمل بعض الصيغ دون بعضها الآخر أو يستعمل أدوات معينة دون أخرى [٥٠].

ومن ثمَّ يحرص البحث الأسلوبي على الوقوف على السمات الأسلوبية التى تميز مبدعًا عن آخر فى كافة المستويات اللغوية : المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية .

حيث تلوح للناقد الأسلوبي إيحاءات البنية الصوتية والصرفية محمولة على الدلالة المعجمية ومتآزرة معها فى خلق الدلالة لبعض الكلمات

---

[٤٩] د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٦٢ .

[٥٠] د / شكري عياد – مدخل إلى علم الأسلوب – ص٢٨/٢٩ – دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض – ط١ .

التى يكررها الشاعر، مما يجعلها تشكل ركيزة أساسية فى بنية النص، وهى ما يصفها بالمولدات الإبداعية [٥١].

وسوف نقف على العديد من الأمثلة التطبيقية من نماذج التحليل الأسلوبي المعاصر التي تكشف عن هذه القيمة الفنية للكلمة في تلك التطبيقات الأسلوبية ، وقد اقتصرت الأمثلة على الكلمات الغريبة التي هي مضمار بحثنا، والتي جاءت بدورها لتدلل على عناية علماء الأسلوبية باللفظ الغريب – بطريق غير مباشر – وأثره في أداء المعنى بصورة أدق عن طريق تضافر المعنى المعجمي وصوتية الكلمة في التعبير عن ذلك .

المستوى الصوتى :

لعل من أهم ما يحسب للأسلوبية الحديثة التفاتها إلى القيمة الفنية للأصوات فى إطار استيعابها لجميع العناصر الدالة وجميع العناصر المدلولة بحثا يتوخى تكاملها النهائي [٥٢]، ولقد حظي الشعر فى الدراسات الأسلوبية الحديثة باهتمام كبير من الناحيتين النظرية والتطبيقية من الناحية الصوتية لا سيما من حيث التكرار الصوتي .

وقد اعتمدت الدراسات الأسلوبية الحديثة فى هذا المجال على ما انتهت إليه الدراسات اللغوية السابقة عليها وذلك بطبيعة الحال نتيجة بديهية للصلة أوالعلاقة الوثيقة بين علم الأسلوب وعلم اللغة [٥٣].

---

[٥١] د/ سامي عباينة – اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث – ص١٨٦ .

[٥٢] د/ صلاح فضل – علم الأسلوب – ص ١٢٣ .

[٥٣] المرجع السابق – ص١٢٩ / ١٤٦ .

وإذا كنا بصدد إسهام الدراسات الحديثة فى هذا المجال فلا يفوتنا تلك الوقفة المتأنية لرتشاردز فى كتابه (مبادئ النقد) عند بحثه عن الدلالة الصوتية، حيث يقرر صعوبة الربط بين السمات الصوتية والمدلول الأدبي، فهو يقرر أن النشاط الجمالي الصوتي معقد حقا، وهو يدخل فى تكوين مسافات مختلفة، ولا ينبع من كيفية معينة أو صفة مفردة، ولا يمكن إذن إلا أن يكون شيئا غنيا متأصلا ذا جذور تستعصي على التقرير والتحديد[٥٤].

كما يرى رتشاردز أن تأثير اللفظ من حيث هو صوت لا يمكن فصله عن تأثيراته الأخرى التى تتم فى نفس الوقت، فجميع هذه التأثيرات ممتزجة بحيث لا يمكن فصل أحدها عن الآخر ويرى أنه لا توجد مقاطع أو حروف متحركة تتصف بطبيعتها بالحزن أو الفرح، إذ تختلف الطريقة التى يؤثر بها الصوت فى نفوسنا تبعًا للانفعال الذى يكون موجودًا فعلا فى ذلك الوقت، بل إنها تختلف أيضا تبعًا للمدلول، وتوقع حدوث الصوت نتيجة للعادة ولروتين الإحساس ليس إلا مجرد جزء من حالة التوقع العامة، فهناك عوامل تتدخل فى العملية، ولا يحدد الصوت ذاته طريقة تأثيره بقدر ما تحددها الظروف التي يدخل فيها هذا الصوت، هذه التوقعات جميعًا مرتبطة بعضها بالبعض الآخر ارتباطا وثيقا، والكلمة الناجحة هى التى تستطيع أن تشبع هذه التوقعات جميعا فى نفس الوقت [٥٥].

إلا أنه يجب علينا ألا نعزو إلى الصوت وحده ميزات تتضمن هذا العدد الكبير من العوامل الأخرى ولا يعني قولنا هذا أن نقلل من أهمية الصوت فى شيء فالصوت فى معظم الحالات هو مفتاح التأثيرات [٥٦]، والحق

---

٥٤ المرجع السابق – ص١٢٩ / ١٤٦ .

٥٥ المرجع السابق – ص١٢٩ / ١٤٦ .

[٥٦] انظر د/ صلاح فضل – علم الأسلوب – ص ١٢٣ .

أن ما ذكره ريتشاردز يثير عددًا من القضايا المهمة فى بحث تلك العلاقة الدقيقة بين الصوت والدلالة تحتاج منا إلى وقفة متأنية لتأملها .

فهو يقرر أولًا أن الدلالة الصوتية للفظ تأتي متصاحبة ومتضافرة فى الوقت نفسه مع دلالاته الأخرى المعجمية والصرفية والنحوية ..... وهذا ينبغي ألا يمثل أشكالا من جهة عزو تأثير هذا اللفظ إلى إحدى هذه الدلالات دون الأخرى .

فقد يدّعى مدع أن الدلالة الصوتية للفظ ما فى سياق ما هى كذا وكذا فلا يجوز لأحد تكذيبه لكونه يستشعر أن تلك القيمة إنما هى حصيلة الدلالة الصرفية أو المعجمية لتلك الكلمة مثلا؛ لأنه يرد على ذلك المكذب بأنه لا تزاحم بين الدوال فلا مانع أن يكون للمعنى الواحد دوال متعددة فهذا يؤدي إلى تقوية المعنى وتأكيده لأن هذه الدوال إنما تعمل متآزرة متعاضدة .

ويرى صاحبا نظرية الأدب (رينيه ويلك و أوستن وارين) أن كل عمل أدبي فني هو قبل كل شيء سلسلة من الأصوات ينبعث عنه المعنى، ففي العديد من الأعمال الفنية بما فيها الشعر طبعا تلفت طبقة الصوت الانتباه وتؤلف بذلك جزءا لا يتجزأ من التأثير الجمالي [٥٧].

هذا كله يؤكد التفات هؤلاء النقاد جميعا إلى ما للأصوات من دلالة فنية وجمالية لا يمكن تجاهلها عند البحث عن جماليات العمل الأدبي وعن الوسائل التعبيرية المختلفة المشاركة فى تحقيق تلك الجماليات مع التأكيد على ما قرره ريتشاردز من قبل من عدم الفصل بين الدلالة الصوتية للألفاظ وأنواع الدلالات الأخرى الناتجة من النظر إلى الكلمة فى مستوياتها اللغوية

---

[٥٧] رينيه ويلك وأوستن وارين – نظرية الأدب – ترجمة عادل سلامة – دار المريخ – الرياض – ١٩٩٢ م .

المختلفة من معجم وصرف ونحو ومع التفات النقاد المحدثين إلى قيمة الأصوات وتأثيراتها الجمالية .

يرى د / عبد الحميد هنداوي " أن دراسة القيمة الجمالية والدلالية للأصوات والصيغ مع قلة العناية بها على المستوى النظري لم تحظ بالطبع بعناية كافية كذلك على المستوى التطبيقي بالدرجة الكافية لدى النقاد العرب وإن وجد بعض الدراسات الحديثة التي وجهت بعض عنايتها إلى هذا الجانب المهم في دراسة القيمة الفنية للألفاظ " [٥٨].

فمن هذه الدراسات دراسة : د / محمد النويهي عن الشعر الجاهلى فقد عرض فيها لجملة من الألفاظ التي حكم عليها النقاد بالصعوبة وعدم الفصاحة ثم برر فنية تلك الألفاظ بما اشتملت عليه من صعوبة من خلال تأمله لما اشتملت عليه هذه الألفاظ من محاكاة للمعاني وقد كانت تلك التحليلات مصحوبة برده على تلك الشروط الجامدة التي اشترطها البلاغيون فى مقياسهم الذى وضعوه للفصاحة وهو عدم تنافر الحروف قد خانهم التوفيق لأنهم لم ينتبهوا إلى أن المعنى والعاطفة قد يقتضيان هذا التنافر ويجعلانه أمرا لازمًا ويستدل على ذلك ببيت امرئ القيس يصف شعر محبوبته وهم يستشهدون به على قبح التنافر :

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى ومرسل

فيقول : لا شك أن فى قوله (مستشزرات) تنافرًا بين الحروف يجعل الكلمة ثقيلة النطق، لكن قليلًا من التفكير يهدينا إلى أن هذا التنافر لازم فنيا مؤكدا؛ لأنه ينطبق على الصورة التى يريد الشاعر أن يرسمها لهذه الخصلات الكثيرة الكثيفة الثقيلة التي تتزاحم على رأس محبوبته وترتفع إلى

---

[٥٨] انظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٦٨ .

أعلى ويغيب بعض الشعر الكثيف تحتها من مفتول ظل على انتظامه وغير مفتول انطلق هنا وهناك صورة غنية رائعة حاشدة مزدحمة إذا أجدنا تصورها واستمعنا إلى (مستشزرات) أدركنا كيف أنها تقتضى هذا التنافر وبدأنا نستحليه ونتلذذ بتعثر لساننا فى النطق وهو حقا تنافر ولكن ما أقوى انسجامه مع الصورة المرسومة [٥٩].

ونستطيع أن نقول مؤيدين كلام د / النويهى ومفسرين فى الوقت نفسه مطابقته تلك الكلمة لسياقها : إن ما عابه النقاد والبلاغيون على هذه الكلمة ورأوا فيه سببا لعدم فصاحتها هو بعينه ما نستشعر فيه أسباب إيحائها بالمعنى الذى أراد الشاعر التعبير عنه فأجاد .

وذلك لأن البلاغيين قد حكموا على هذه الكلمة بعدم الفصاحة لكون حروفها متقاربة ليست متباعدة المخارج [٦٠]، ولكون حروفها مع ذلك متنافرة فإن فى توسيط الشين وهو من الحروف المهموسة الرخوة بين التاء وإنها من المهموسة الشديدة وبين الزاي وإنها من الحروف الصفير المهجورة من التنافر ما لا يخفى فلو قيل : (مستشرفات) لزال الثقل .

وإذا تأملنا هذا الذي ذكروه فى أسباب عدم فصاحة تلك الكلمة ثم وازنا بين السمات الصوتية والنطقية لتلك الحروف وبين المعنى الذى تعبر عنه لوجدناها معبرة تمام التعبير عن هذا المعنى وذلك لأن الميم شفوية وكلا من السين والثاء والزاى أسنانية متقاربة المخرج مما يجعل هذه الأحرف معبرة بهذا التقارب فى النطق الذى يتعثر فيه اللسان تعثرا شبيها بتعثر المدرى فى خصلات هذا الشعر الكثيف المتعثكل بين مثنى ومرسل .

---

[٥٩] انظر د/ محمد النويهي – الشعر الجاهلي – الدار القومية للطباعة والنشر – ط١ – بدون تاريخ – ص ٤٤/٤٥ .

[٦٠] انظر ابن سنان – سر الفصاحة – ص٦٠ .

كما يتخلل الشين تلك الحرف ليعبر بماله عن استطالة وتفش وانبساط عن استطالة ذلك الشعر وانبساطه وتفشيه وانسداله . كذلك تشارك الراء بما لها من صفة تكرارية فى التعبير عن الكثرة والتزاحم فى تلك الخصلات الشعرية المتكررة ويضاعف المد بالألف بماله من صفات الهوى والعمق والجوفية والامتداد فى مضاعفة الشعور بكثرة هذا الشعر وعمقه وامتداده إلى أغوار بعيدة [٦١].

وهذا الذى قرره النويهي قد أيده فيه كثير من الباحثين بعده وزادوا عليه بأمثلة كثيرة وقفوا فيها أمام الأدلة الصوتية لتلك الألفاظ التى حكم البلاغيون والنقاد القدامى عليها بعدم الفصاحة .

نماذج تطبيقية من غريب القرآن

١- الحديث عن كلمة (ضيزى)

من غريب القرآن الذي نال عناية خاصة عند البلاغيين كلمة (ضيزى) التي جاءت في سورة النجم في قوله تعالى ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [٦٢]أي جائرة أو ظالمة، فلماذا حصل العدول عن الشائع المعروف إلى الغريب المتروك في هذا السياق ؟ لقد أضافت لفظة ضيزى للسياق ما لم يمكن أن تضيفه لفظة جائرة أو ظالمة، هذا ما أقره البلاغيون .

يقول ابن الأثير : " وحضر عندي في بعض الأيام رجل متفلسف، فجرى ذكر القرآن الكريم، فأخذت في وصفه، وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة، فقال ذلك الرجل: وأيّ فصاحة هناك وهو يقول: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ ؟ فهل في لفظة (ضيزى) من الحسن ما يوصف ؟ فقلت له: اعلم أن لاستعمال الألفاظ أسرارًا لم تقف عليها أنت ولا

---

[٦١] انظر د/ محمد النويهي – الشعر الجاهلي – ص ٤٤/٤٥ .

[٦٢] سورة النجم الآية ٢٢ .

أئمتك، مثل: ابن سينا والفارابي، ولا من أضلَّهم مثل: أرسطاليس وأفلاطون، وهذه اللفظة التي أنكرتها في القرآن، وهي لفظة (ضيزى) فإنِّها لا يَسُدُّ غيرها مسدَّها، ألا ترى أن السورة كلها مسجوعة على حرف الياء[٦٣]، فقال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [٦٤]، وكذلك إلى آخر السورة، فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة عليه، وغيرها لا يسد مسدها في مكانها "[٦٥].

اكتفى ابن الأثير في جوابه بذكر ما للكلمة من دور في توافق الفواصل، حيث إن السورة كلها لها فاصلة واحدة هي حرف الياء ، ولكن الأمر أبعد من فاصلة قد روعيت . إن هذه اللفظة إنما أوثرت كي تناسب بغرابتها عن مألوف الاستعمال غرابة تلك القسمة التي تصفها [٦٦]، ونرى الصورة قد اتضحت أكثر عند الرافعي.

يقول الرافعي : " وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة "ضيزى" ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه؛ فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله مع أولادهم البنات فقال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ

---

[٦٣] هكذا قال ابن الأثير ، والصواب أنه مسجوع بالألف كما لا يخفى على أحد .

[٦٤] سورة النجم الآية ١-٢ .

[٦٥] ابن الأثير – المثل السائر – ص ١٦١ – ١٦٢ .

[٦٦] د / حسن طبل – الإعجاز البلاغي للقرآن – ص٧٦ – مكتبة الإيمان – المنصورة – ط١ .

ضِيزَى﴾[٦٧]، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها"[٦٨].

ويرى الرافعي أن الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية[٦٩].

إنه انسجام المحاكاة harmonie imitaitve الذي ندركه من مطابقة الإحساس الذي يخلفه في النفس وقع الأحرف الصامتة للإحساس الذي لدينا عن الشيء الذي نتحدث عنه[٧٠] . والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام، وله نظائر في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروفها معنى حسيا، وفي تآلف أصواتها معنى مثله في النفس .

مما سبق نستنتج أن مجيء كلمة (ضِيزَى) في هذا الموضع دون الكلمات التي تُؤدّي معناها له نُكْتَتَان: معنوية، ولفظيّة . أما المعنويّة فهي الإشعار بقباحة التعامل مع الرّبّ الخالق بقسمة جائرة، يختار المشركون فيها لأنفسهم الذكور ويختارون فيها لربّهم الإناث، عن طريق استخدام لفظ يدلُّ

---

[٦٧] سورة النجم الآية ٢١ – ٢٢ .

[٦٨] الرافعي – تاريخ آداب العرب – ج٢ ص١٥٢ .

[٦٩] انظر المرجع السابق – ج٢ ص١٥٢ .

[٧٠] محمد مندور – في الميزان الجديد – ص١٥١ – نهضة مصر – القاهرة – ٢٠٠٤ .

بحروفه على قباحة مُسَمَّاه. وأمّا اللفظية فهي مراعاة رؤوس الآي، في الآيات قبلها وبَعْدَها[٧١].

إن كلمة (ضيزى) – ولا شك – ليس لها من انسيابية النطق وجمال الوقع على الأذن ما للكلمة المرادفة لها (جائرة) ولكنني أزعم أنها فى موقعها دالة أبلغ دلالة على المراد وهو فساد القسمة ، وحيفها بشكل يولد فى النفس – عند نطق الكلمة – إحساسا بثقلها وبغضها ، والنفور منها ، وهى دلالة لا تتفجر من كلمات مماثلة في المعنى .

إن الناظر فى مناسبة تلك الكلمة لدلالتها لا يحتاج أكثر من أن يتأمل طريقة نطقه بها، وأن ينظر إلى هيئة الفم حال النطق بها، حيث نلاحظ أن النطق بحرف الضاد مصحوبًا بحركة ياء المد يجعل الفم منفتحا بدرجة كبيرة سببها أن مخرج الضاد من حافة اللسان مما يلى الأضراس، فإذا جاءت الضاد مصحوبة بالمد بالياء فإن ذلك يؤدي إلى انفتاح الفم انفتاحا أفقيًا إلى هذه الدرجة التى هى أشبه بهيئة المشمئز من الشيء، ويزداد الاقتراب فى الشبه بهذه الهيئة حينما ينتقل الفم فجأة من نطق الضاد ذات الكسرة الطويلة إلى نطق الزاى ذات الفتحة الطويلة (المد بالألف)، مما يؤدى إلى انتقال الفم من الانفتاح الأفقي العرضي إلى الانفتاح الرأسي الطولي؛ ليوحي بهذه الطريقة الإشارية المتولدة من نطق هذه الكلمة بدلالة النفور والاشمئزاز من تلك القسمة الجائرة التي تبعث على الاشمئزاز والأنفة من تلك العقول الفاسدة التى سوغت أن يكون الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا بينما هم لا يرضون بالإناث لأنفسهم، فيتخلصون منهم بالقتل أو الوأد [٧٢].

---

[٧١] انظر عبد الرحمن حسن حبنكة – البلاغة العربية – ج٢ ص٤٧٩ – دار القلم دمشق – ط١ ١٩٩٦ .

[٧٢] انظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٧٠ / ٧١ .

٢- كبكبوا

وهي من الكلمات الغريبة التي حظيت بالدراسة لغرابتها من ناحية ولإيقاعها الصوتي من ناحية أخرى والكلمة من قوله – تعالى – ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [٧٣]قال صاحب اللسان في تفسير كبكبوا : " أَي دُهْوِرُوا، وجُمِعُوا، ثُمَّ رُمِيَ بِهِمْ فِي هُوَّةِ النَّارِ؛ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: كُبْكِبُوا طُرِحَ بعضُهم عَلَى بَعْضٍ ، وَقِيلَ : جُمِعُوا، مأْخوذ مِنَ الكَبْكَبة. وكَبْكَبَ الشيءَ: قَلَبَ بعضَه عَلَى بَعْضٍ " [٧٤]قال الزمخشري:" والكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقرّ في قعرها " [٧٥]. فهي بجرسها الخاص تخيل صورة الاضطراب والتصادم بين هؤلاء الضالين فهم يدفعون فيتدافعون إلى مصيرهم المحتوم في حركات عشوائية مائجة بلا انتظام فالآية آثرت كلمة (كبكبوا) لدورها الفني في السياق [٧٦].

فتبين مما سبق أن الكبكبة هي الجمع وهي الإلقاء في هوة فلو عُدل عنها إلى (أدخلوا) لما استطاعت القيام بهذا المعنى والاضطلاع به ، بالإضافة إلى صوتية الكلمة التي تضافرت مع الدلالة المعجمية في إبراز المعنى ، فإن الكاف والباء من حروف الشدة التي ينحبس الصوت عند النطق بها ، فهو يوحي بما يقاسونه من الضيق والشدة في هذا الموقف ، وهما من حروف الهمس أيضًا وهو جريان النفس عند النطق بالحرف ، وهو نفس

---

[٧٣] سورة الشعراء – الآيات ٩٢ – ٩٥ .

[٧٤] ابن منظور – لسان العرب – ج١ ص ٦٩٧ .

[٧٥] الزمخشري – الكشاف – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٣ – ج٣ ص٣٢٢ .

[٧٦] انظر د / حسن طبل – البلاغة العربية مصطلحات ومفاهيم – ص٢٢ .

يستحضر في ذهن السامع زفير هولاء الكافرين المتصاعد بعد ضمهم إلى بعض وإلقائهم من شفير جهنم .

وصرفية الكلمة جاءت هي الأخرى بدورها لتؤكد المعنى في ذهن السامع ، فالفعل (كبكب) فعل مضعف تكوّن من تكرار المقطع (كب) الذي يوحي بتكراره إلى تكرار السقوط في دركات جهنم حتى الاستقرار في قعرها ، كذلك فقد جاء الفعل ماضيًا للإشارة إلى تحقق ذلك ووقوعه لا محالة .

فصوتية الكلمة ودلالتها الصرفية أتت منسجمة تمام الانسجام مع سياق الوعيد والتهديد لهؤلاء الغاوين ، فجاء الصوت محاكيا لتردي تلك الأفواج في النار مصورا صوت الوقوع والاصطدام [٧٧].

٣- اثّاقلتم

ويمكننا أن نقف كذلك عند الدلالة الصوتية لكلمة (اثّاقلتم) من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٧٨].

فالناطق لتلك الكلمة يستشعر صعوبة واضحة فى نطقها وليست خفيفة الوقع كذلك على الأذن وذلك على خلاف ما نراه فى كلمة بديلة وهى " تثاقلتم " بيد أن الأولى بتشكيلها الصوتى أقوى فى تصوير المراد والإيحاء به إذ ترسم صورة مجسمة للتباطؤ الشديد وتثير فى خيال قارئها وسامعها

---

[٧٧] انظر د / عبد الحميد هنداوي – الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم – الدار الثقافية للنشر – القاهرة – ط١ ٢٠٠٤ – ص٦٣ .

[٧٨] سورة التوبة الآية ٣٨ .

صورة ذلك الجسم المثاقل، يرفعه الرافعون فى جهد فيسقط من أيديهم فى ثقل .

وحينما نوازن بين السمات الصوتية لهذه الكلمة وبين سياقها نجد أنها قد جاءت معبرة تمام التعبير عن الفكرة التي سيقت لأجلها، حيث نلاحظ أن الثاء قد جاء مكررا، وهو حرف يخرج مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا فهو قريب المخرج وتكراره بالتشديد يصور هيئة المتثاقل المتباطئ، فهو لا يبرح مكانه يتردد فيه، كما أن النطق لايزال يتردد فى مخرج الثاء يكرره ولا يبرحه ثم يأتى المد ليصور لك أن المتثاقل لا يتحرك ولا يمتد إلا فى مكانه فهو مد خاص بهذا الحرف القريب المخرج (الثاء) الذي لا يكاد النطق يبرحه تارة بتشديده وتكريره وتارة بمده، ثم ها هو المد يبلغ أقصاه حيث مخرج القاف أقصى اللسان، وهنا يظن الظان أن المتثاقل قد تحرك شيئا وجاوز مكانه فإذا به يرتد تارة أخرى إلى مكانه الذى قد قام منه، وهو منطقة طرف اللسان حيث الثاء واللام والتاء، بل إنه يتساقط ويتأخر عن مكان ابتدائه حيث يرتد إلى مخرج الميم عند الشفتين ولا شك أن المرء حينما ينطق بهذه الكلمة لا يكاد يصل إلى نطق تلك الميم الساكنة وخاصة مع إيجاد هذا المقطع الأخير (ثم) حتى يستشعر أن شيئا قد سقط على الأرض فجأة محدثا هذا الصوت [٧٩].

فكأن النطق بهذه الكلمة يصور هيئة المتثاقل المتساقط وهو يتردد فى قيامه ويتمادى فى تباطئه، وذلك فى نطق الثاء المشددة، ثم لا يلبث أن ينهض حتى يتساقط مرتدا إلى مكان قيامه أو متجاوزا عنه إلى الخلف قليلا فهو لا يكاد يقوم حتى يسقط، وهنا نستشعر أن الكلمة بسماتها الصوتية

---

[٧٩] انظر د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٧٢ .

موحية ومعبرة عن معنى التثاقل والتباطؤ بدرجة فنية عالية لا تستطيع أن توحى بها دلالتها المعجمية وحدها.

على أن في الآية كلمة أخرى لا تقل دلالتها الصوتية عن دلالة تلك الكلمة فى التعبير عن ذلك التثاقل والخلود إلى الأرض والركون إلى الدعة والراحة ألا وهي كلمة (الأرض) وذلك أنك إذا تأملت وقوفك على الضاد الساكنة بما لها من صفة الاستطالة والانبساط لاستشعرت فيها ما يوحى به نطق الضاد من استطالة الركود والانبساط فيه واسترخاء هولاء المتثاقلين وتمددهم فى التصاقهم بالأرض .

إنها دلالة تساعد على إبراز الدلالة الرمزية للأرض كرمز للسكون والخلود إلى القعود والكسل ، تجد فيها قدرا من الثقل الفصيح ؛ لأنه يصف تقاعسهم وتثاقلهم ، وخلودهم إلى الأرض، واستشعارهم مشقة الجهاد، وعزوف أرواحهم عنه، وقد دعوا إليه في عام العسرة، فكان منهم ما وصفت الآية، ولذلك جاء التهديد البالغ ليواجه تخاذل أرواحهم، فقال سبحانه: ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾ [٨٠].

والملاحظ أن تلك الدراسات الحديثة قد تركزت فى أغلبها على ما يمكن أن نسميه بلغة الأسلوبية بالاختيار الأسلوبي، وهو فى دراستها تلك تنطلق من مقولات البلاغيين السابقين من خلال استثمارها أحيانا أو انتقادها فى أغلب الأحيان، فمن الملاحظ أن هذه الدراسات الحديثة – وإن انتقدت العديد من وجوه التنظير البلاغى فى هذا المجال – عند متأخرى البلاغيين – فإنها لا يمكنها بحال من الأحوال أن تتنكر للبلاغة القديمة وألا تفيد منها

---

[٨٠] سورة التوبة الآية ٣٩ .

حتى بالنسبة لتلك الدراسات التى تمخضت للدرس الأسلوبي الحديث؛ وذلك لأن ثمة صلة وثيقة – سبق تأكيدها عليها – بين كل من البلاغة والأسلوبية[٨١].

ومن ثم فإننا نقول : إن البحث البلاغي لابد أن يتسع لدينا ليشمل جميع المستويات اللغوية للكلمة والكلام على المستوى الصوتي والمعجمي والصرفي والنحوي هذا مع التأكيد التام على استحالة فصل الكلمة عن تركيبها وسياقها وأنها لا حكم عليها بجمال أو قبح خارج ذلك السياق ومن ثم لابد أن نضع فى اعتبارنا الوظيفة النحوية للكلمة كذلك عند تحليلها بل لابد من تحديد موقعها من سياق الكلام كله باعتبارها وحدة من وحدات نسيجه الكلي وهذا الأمر موضع اتفاق بين كل من البلاغة والأسلوبية .

٤– أمشاج

ذكرت هذه الكلمة مرة واحدة في سورة الإنسان في قوله تعالى : " إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا "[٨٢]

قال ابن منظور : " المَشْجُ : كُلُّ لَوْنين اخْتَلَطا، وقِيلَ: هُوَ مَا اخْتَلَطَ مِنْ حُمْرَةٍ وبَيَاض، وقِيلَ: هُوَ كُلُّ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِطَيْنِ، وَالْجَمْعُ أَمْشاجٌ ومَشَجْتُ بَيْنهما مَشْجاً: خَلَطْتُ قال ابْنُ سِيدَهْ: والمَشِيجُ اخْتِلاطُ مَاءِ الرَّجُلِ والمرأَة؛ وقَالَ الْفَرَّاءُ: الأَمْشاجُ هِيَ الأَخْلاطُ: ماءُ الرجلِ وَمَاءُ المرأَةِ والدمُ والعَلَقَة، وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: الأَمشاجُ الأَخلاطُ؛ يُرِيدُ الأَخْلاطَ النطفةَ لأَنها مُمْتَزِجةٌ مِنْ أَنواعٍ، ولِذَلِكَ يُولَدُ الإِنسان ذَا طَبائعَ مُخْتَلِفةٍ "[٨٣].

---

[٨١] د/ عبد الحميد هنداوي – التصوير الفني والتصوير البياني – ص ٧٣ .

[٨٢] سورة الإنسان – الآية ٢ .

[٨٣] ابن منظور – لسان العرب – ج٢ ص٢٦٧ .

والمتأمل لما ذكره أهل اللغة يلمس أن الأمشاج أخلاط بهيئة معينة وصورة مخصوصة؛ فهو خلط بين أجناس مختلفة وليس تمازجا بين متماثلات ، ومن ثم فإن الكلمة – وإن كانت غريبة قليلة الورود – ولكنها تدل دلالة خاصة مقصودة يقتضيها الوصف ويتحتمها سياق الحديث عن خلق الإنسان، والذي لا يكون خلقه إلا بهذا الخلط المتمايز – بلا ريب – في هيئته وكنه موادّه وكل أحواله ، مما يجعل السياق القرآني يختار هذه الكلمة لاضطلاعها وحدها لأداء هذا المعنى الدقيق من معاني الخلط .

٥– متشاكسون

قال تعالى في سورة الزمر : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[٨٤]

قال ابن منظور : " الشَّكْسُ والشَّكِسُ والشَّرِسُ : السَّيِّءُ الخلق، وأَنشد ابْنِ الأَعرابي: " خُلِقْتَ شَكِساً للأَعادي مِشْكَسا " وتَشاكَسَ الرَّجُلَانِ: تَضادَّا، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: " شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ " أَي مُتَضَايِقُونَ مُتَضادُّون، وتَفْسِيرُ هَذَا الْمَثَلِ أَنه ضُرِبَ لِمَنْ وَحَّد اللَّه تَعَالَى ولِمَنْ جَعَلَ مَعَهُ شُرَكَاءَ، فَالَّذِي وَحَّدَ اللَّه تَعَالَى مَثَلُه مَثَلُ السَّالِمِ لِرَجُلٍ لَا يَشْرَكُه فِيهِ غَيْرُهُ؛ يُقَالُ: سَلِمَ فلانٌ لِفُلَانٍ أَي خَلَصَ لَهُ، ومَثَلُ الَّذِي عَبَدَ مَعَ اللَّه سُبْحَانَهُ غَيْرَهُ مَثَلُ صَاحِبِ الشُّرَكَاءِ الْمُتَشَاكِسِينَ،وَالشُّرَكَاءُ المُتَشاكِسُون:العَسِرُونَ الْمُخْتَلِفُونَ الَّذِينَ لَا يَتَّفِقُونَ، وأَراد بِالشُّرَكَاءِ الْآلِهَةَ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّه تَعَالَى "[٨٥]

وأداء الكلمة للمعنى لم يتوقف على المعنى المعجمي فقط، بل تجاوزه إلى صوتية الكلمة التى استطاعت تأدية المعنى خير أداء، فالشين بصفة

---

[٨٤] سورة الزمر – الآية ٢٩ .

[٨٥] ابن منظور – لسان العرب – ج٦ ص١١٢.

التفشي ، وحروف الهمس المتتابعة التي صنعت ذلك الدويّ المماثل لدوي هؤلاء المتخاصمين ، وهذا الصفير المتولد من السين ، كل هذا تضافر لخلق حالة صوتية تضطلع إلى أداء المعنى على خير وجه .

وكما كان لصوتية الكلمة دور في التعبير عن المعنى ، جاءت صرفية الكلمة أيضا لتنهض هي الأخرى بهذا الدور ؛ فاسم الفاعل متشاكسون المشتق من الفعل تشاكس بما يحمله من معنى المشاركة[٨٦] ، فهذا التنازع والاختلاف لم يكن من لدن طرف واحد، بل تعاورت كل الأطراف لخلق هذا الجو من التنازع والخصومة .

٦- الحُبُك

قال تعالى : { إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ }

قال ابن منظور : " الحَبْك: الشَّدُّ، وحُبُك السَّمَاءِ: طَرَائِقُهَا، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ " الخَلْق الْحَسَنُ، قَالَ أَبو إِسحاق: وأَهل اللُّغَةِ يَقُولُونَ ذَاتُ الطَّرَائِق الْحَسَنَةِ؛ وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرّة يَمْدَحُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:

لأَصْبَحْتَ خيرَ النَّاسِ نَفْساً وَوَالِدًا ... رَسُولَ مَلِيك الناسِ فَوْقَ الحَبَائِك

والمَحْبُوك: مَا أُجيد عَمَلُهُ، والمَحْبُوك: المُحْكَمُ الْخَلْق، مِنْ حَبَكْتُ الثَّوْبَ إِذا أَحكمت نَسْجَهُ، قَالَ شَمِرٌ: وَدَابَّةٌ مَحْبُوكة إِذا كَانَتْ مُدْمَجة الْخَلْق، قَالَ: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحكمته وأَحسنت عَمَلَهُ[٨٧] " .

---

[٨٦] ينظر د/ عبده الراجحي – التطبيق الصرفي – دار النهضة العلربية للطباعة والنشر – بيروت – ط١ – ص٣٨ .

[٨٧] ابن منظور – لسان العرب – ج١٠ ص٤٠٧ – ٤٠٨ .

ومن خلال النظر لما قاله ابن منظور بإمكاننا أن نلمس للكلمة دلالات تضافرت كلها لأداء المعنى وترسيخ الصورة في الذهن ، فالحُبُك وصف للطرق ولكنها ليست كأي طرق؛ فهي محكمة الصنع تامة الخلق، والسماء لناظرها لا تشبه الطرق المسلوكة على الأرض بل هي كالنسيج التام في نسجه من قولهم ثوب محبوك ، فلما أشبهت النسيج في هيئته، كانت أحق بأن تنعت بهذه الصفة الغريبة في لفظها، ولكنها الأجدر على أداء المعنى من غيرها .

٧- عزين

قال تعالى : { فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ }[٨٨]

قال صاحب اللسان : " وعَزَا الرجلَ إِلَى أَبيهِ عَزْواً: نَسَبَهُ، وعَزَا فلانٌ نفسَه إِلَى بَنِي فلانٍ يَعْزُوها عَزْواً وعَزَا واعْتَزَى وتَعَزَّى، كُلُّهُ: انتَسَب وانْتَمى إِلَيْهِمْ ، والاسمُ العِزْوَة والاعْتِزَاءُ والعِزَةُ: عُصْبَة مِنَ النَّاس، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ ﴾ و"مَعْنَى عِزِين حِلَقاً حِلَقاً وجَماعةً جَمَاعَةً، وعِزُونَ: جَمْع عِزَةٍ فَكَانُوا عَنْ يَمِينِه وَعَنْ شِماله جماعاتٍ فِي تَفْرِقَةٍ"[٨٩].

وقوله : " (مَا لِي أَراكم عِزِينَ ؟) قَالُوا: هِيَ الحَلْقَة المُجْتَمِعَة مِنَ النَّاسِ كأَنَّ كلَّ جماعةٍ اعْتَزَاؤها أَي انْتِسابُها واحِدٌ، وأَصلها عِزْوَة، فَحُذِفَتِ الْوَاوُ وجُمِعَت جمعَ السلامَةِ عَلَى غَيْر قياسٍ " [٩٠].

---

[٨٨] سورة المعارج – الآية ٣٦- ٣٧ .

[٨٩] ابن منظور – لسان العرب ج١٥ص٥٣ .

[٩٠] ابن منظور – لسان العرب ج١٥ص٥٣ .

وفيه إنكار علي رؤيته صلى الله عليه وسلم إياهم متفرقين أشتاتاً، والمقصود الإنكار عليهم كائنين علي تلك الحالة، يعني لا ينبغي لكم أن تتفرقوا ولا تكونوا مجتمعين مع توصيتي إياكم بذلك، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[٩١] . ولو قال: وما لكم متفرقين ؟ لم يفد من المبالغة فائدة [٩٢] .

فالكلمة جاءت ملائمة للسياق ومناسبة للموقف من وجهين : الأول : كونها لا تدل على مطلق التفرق بل هم متفرقون في جماعات فهو نوع خاص من التفرق تفرق مع تجمع . الثاني : كون هذه المجموعات تنتسب لقبيلة واحدة أو ثمة رباط يجمعها، فالكلمة دلت على تفرق بهيئة خاصة لا يمكن بحال أن تدل عليه كلمة أخرى فهي تدل على تفرق ذو هيئة فريدة ، تفرق للكل مع اجتماع لكل واحد مع من هم من عصبته وقرابته ، فما أروعها من كلمة جاءت فأغنت عن كثير من الكلمات .

٨- يحور

قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ }[٩٣]

قال صاحب اللسان : " (حارَ عَلَيْهِ) أَي رَجَعَ إِليه مَا نُسِبَ إِليه ، وكُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ، فَقَدْ حارَ يَحُور حَوْراً . قَالَ لَبِيدٌ:

وَمَا المَرْءُ إِلَّا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ ... يَحُورُ رَماداً بَعْدَ إِذْ هُوَ ساطِعُ

والحَوْرُ التَّحَيُّرُ، والحَوْرُ: الرُّجُوعُ. يُقَالُ: حارَ بعد ما كارَ. والحَوْرُ: النُّقْصَانُ بَعْدَ الزِّيَادَةِ لأَنه رُجُوعٌ مِنْ حَالٍ إِلى حَالٍ. وَفِي الْحَدِيثِ:(نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الحَوْرِ

---

[٩١] سور آل عمران الآية ١٠٤ .

[٩٢] ينظر الطيبي – شرح مشكاة المصابيح ج٤ ص١١٤٣ .

[٩٣] سورة الانشقاق – الآية ١٠ – ١٤ .

بَعْدَ الكَوْرِ) مَعْنَاهُ مِنَ النُّقْصَانِ بَعْدَ الزِّيَادَةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مِنْ فَسَادِ أُمورنا بَعْدَ صَلَاحِهَا، وأَصله مِنْ نَقْضِ الْعِمَامَةِ بَعْدَ لَفِّهَا، مأْخوذ مِنْ كَوْرِ الْعِمَامَةِ إِذا انْتَقَضَ لَيُّها وَبَعْضُهُ يَقْرُبُ مِنْ بَعْضٍ، وكَذَلِكَ الحُورُ، بِالضَّمِّ "[٩٤].

فلماذا عدلت الآية عن الأفعال رجع ، عاد، آب وغيرها واختارت (حار)؟ إن حار ليست لمجرد الرجوع، بل هو رجوع يصحبه الخسارة والنقصان، فجاءت مناسبة للسياق التي هي فيه ، ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ منه كما في حديث عبد الرحمن بن سرجس، قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال " رواه مسلم [٩٥]. فقوله الحور بعد الكور يعني النقصان بعد الزيادة .

فحار ليست كعاد ورجع المشهورة الذائعة على الألسن وإنما هو رجوع يتبعه الخسارة والحسرة والخيبة والنقصان ، رجوع الكافر إلى الحياة يوم القيامة وما يقتضيه من عذاب بسبب كفره .

٩- السحت

قال تعالى : {وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }[٩٦]

قال صاحب اللسان : "السُّحْتُ: الحرامُ الَّذِي لَا يَحِلُّ كَسْبُه، لأَنه يَسْحَتُ البركةَ أَي يُذْهِبُها ، واشتقاقُه مِنَ السَّحْتِ، وَهُوَ الإِهلاكُ والاسْتئصال. وأَسْحَتَتْ تجارتُه: خَبُثَتْ وحَرُمَتْ. وسَحَتَ فِي تِجَارَتِهِ، وأَسْحَتَ: اكْتَسَبَ

---

[٩٤] ابن منظور – لسان العرب ج٤ص٢١٧ .

[٩٥] الطيبي – شرح مشكاة المصابيح ج٦ ص١٨٩٣ حديث رقم٢٤٢١ .

[٩٦] سورة المائدة – الآية ٦٢- ٦٣ .

السُّحْتَ. وسَحَتَ الشيءَ يَسْحَتُه سَحْتاً: قَشَره قَلِيلًا قَلِيلًا. وسَحَتُّ الشَّحْمَ عَنِ اللَّحْمِ: قَشَرْتُه عَنْهُ، والسَحْتُ: العذابُ. وسَحَتْناهم: بَلَغْنا مَجْهُودَهم فِي المَشَقَّة عَلَيْهِمْ. وأَسْحَتْناهم: لُغَةٌ. وأَسْحَتَ الرجلَ: اسْتَأْصَلَ مَا عِنْدَهُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾[٩٧]. فيَسْحَتكم: يَقْشِركم؛ ويُسْحِتَكُمْ: يَسْتَأْصِلكم. وأَسْحَتَ مالَه: اسْتَأْصَلَه وأَفْسَدَه؛ قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وعَضّ زمانٍ، يَا ابنَ مَرْوانَ، لَمْ يَدَعْ ... مِنَ المالِ إِلَّا مُسْحَتاً، أَو مُجَلَّفُ

والسَّحِيتَةُ مِنَ السَّحاب: الَّتِي تَجْرُفُ مَا مَرَّتْ بِهِ [٩٨].

فأصل السحت هو العذاب والاستئصال والإهلاك، واستخدام الكلمة بمعنى المال الحرام الذي لا يحل أخذه من قبيل المجاز ، فهي مجاز مرسل علاقته المسببية؛ لأنّ العذاب أو السحت مسبب عن تناول ما لا يحل من الأموال التي حرم الله أخذها بغير حق .

١٠- الرِّجْز

قال تعالى : { ولَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ولَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ }[٩٩]

قال صاحب اللسان : " الرَّجَزُ: دَاءٌ يُصِيبُ الإِبِل فِي أَعجازها. والرَّجَز: أَن تَضْطَرِبَ رِجْلُ الْبَعِيرِ أَو فَخِذَاهُ إِذا أَراد الْقِيَامَ ، والرَّجَزُ: ارْتِعادٌ يُصِيبُ الْبَعِيرَ وَالنَّاقَةَ فِي أَفخاذهما ومُؤَخَّرِهِمَا عِنْدَ الْقِيَامِ، وَقَدْ رَجَزَ رَجَزاً، وَهُوَ أَرْجَزُ، والأُنثى رَجْزاء، وَقِيلَ: نَاقَةٌ رَجْزاء ضعيفةُ العَجُزِ إِذَا نَهَضَتْ مِنْ

---

[٩٧] سورة طه الآية ٦١ .

[٩٨] ينظر ابن منظور – لسان العرب ج٢ ص٤١ + الطيبي – شرح المشكاة – ج٥ ص١٥١٠ + المناوي – فيض القدير – ج١ ص٢١٢ .

[٩٩] سورة الأعراف – الآية ١٣٤ – ١٣٥ .

مَبْرَكها لَمْ تَسْتَقِلَّ إلا بَعْدَ نَهْضتين أَو ثَلَاثٍ، قَالَ أَوس بْنُ حَجَر يَهْجُو الحكَم بْنَ مَرْوانَ بْنِ زِنْباع:

هَمَمْتَ بِخَيْرٍ ثُمَّ قَصَّرْتَ دونَه ... كَمَا ناءَتِ الرَّجْزاءُ شُدَّ عِقالُها

مَنَعْتَ قَلِيلًا نَفْعُه، وحَرَمْتَنِي ... قَلِيلًا، فهَبْها بَيْعَةً لَا تُقالُها "[١٠٠].

وبعد أن تحدث ابن منظور عن أصل استخدام الكلمة أردفه بحديثه عن المعنى المجازي للكلمة فقال:" والرِّجْز: الْعَذَابُ. والرِّجْز والرُّجْز: عِبَادَةُ الأَوثان، وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلى الْعَذَاب، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِل:{لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ} [١٠١] أَي كَشَفْتَ عَنَّا الْعَذَابَ " [١٠٢] فهو العذاب مجازًا ، والعمل الذي يؤدي إلى العذاب حقيقة .

فالرجز – كما ذكره أهل اللغة – اضطراب السير وضعف الحركة عند الدواب ، فسائقها يستحثها المسير، وهي تضطرب في الحركة، فيلحقها العذاب؛ بسبب هذا السير ، ومن هنا يكون استعمال الرجز بمعنى العذاب من قبيل المجاز المرسل ، وعلاقته هي السببية لأن حركة البعير المضطربة هي التي سببت لها العذاب ، أو قد يكون العذاب الذي أصابها هو الذي سبب لها اختلال السير واضطراب المشية فحين إذن تكون العلاقة المسببية لأن اختلال السير مسبَب عن العذاب .

وقال الزمخشري : " الرجز والرجس: الْعَذَاب والْأَمر الشَّديد ينزل بِالنَّاسِ وَهُوَ من قَوْلهم: ارتجزت السَّمَاء بالرعد وارتجست ورعد مرتجز

---

[١٠٠] ابن منظور – لسان العرب – ج٥ ص٣٤٩ .

[١٠١] سورة الأعراف الآية ١٣٤ .

[١٠٢] ابن منظور – لسان العرب – ج٥ ص٣٥٠ .

مرتجس وَهُوَ حَرَكَة مَعَ جلبة لِأَن الْعَذَاب النَّازِل لَا بُد فِيهِ للمنزول بهم من أَن يضطربوا ويجلبوا"[١٠٣].

فأصل الرجز هو الاضطراب ؛ اضطراب في سير الإبل ، اضطراب السماء بما يحدثه السحاب من رعد وبرق ، وهو الحركة السريعة مثل حركة المرتعد ، واستعير للقصائد التي تقال على بحر الرجز لخفته وسرعة الانتقال من بيت إلى بيت ، واستعير للعذاب الشديد الذي يقلق صاحبه ويصيبه بالاضطراب .

١١- كنود

قال تعالى : {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ }[١٠٤]

قال صاحب اللسان : " كَنَدَ يَكْنُدُ كُنوداً: كَفَرَ النِّعْمَةَ؛ وَرَجُلٌ كنَّادٌ وكَنُودٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: " إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" قِيلَ: هُوَ الجَحُود وَهُوَ أَحسن، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يأْكُل وحْدَه ويمْنَعُ رِفْدَه ويَضْرِب عَبْده. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: لَكَنود، لَكفور بالنِّعْمَةِ؛ وَقَالَ الْحَسَنُ: لَوَّام لِرَبِّهِ يَعُدُّ المصيباتِ ويَنْسى النِّعَم؛ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَكَنُودٌ، مَعَنَاهُ لَكَفُورٌ يَعْنِي بِذَلِكَ الْكَافِرَ. وامرأَة كَنُدٌ وكَنُود: كَفور لِلْمُوَاصَلَةِ؛ قَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوْلَب يَصِفُ امرأَته:

كَنُودٌ لَا تَمُنُّ وَلَا تُفادِي، ... إِذا عَلِقَتْ حَبائلُها بِرَهْنِ

وَقَالَ أَبو عَمْرٍو: كَنُود كَفور لِلْمَوَدَّةِ.وأَرض كَنُود: لَا تُنْبِتُ شَيْئًا " [١٠٥]

---

[١٠٣] الزمخشري – الفائق في غريب الحديث – ج٢ ص٤٦ .

[١٠٤] سورة العاديات – الآية ٦– ٨ .

[١٠٥] ابن منظور – لسان العرب – ج٣ص٣٨٢ .

والعدول عن كفور واستعمال كنود له وجهته الأسلوبية ؛ فالكفر جحود محله القلب ،بحيث يمكن للإنسان ألا يظهره للآخرين، فهو خافٍ عن الأعين م، أما الكنود فهو وصف لكفر ظاهر على سلوك الإنسان بادٍ للأعين ، وهذا ما نلمسه من حديث صاحب اللسان مما جمعه من كلام اللغويين ، فالكنود هي المرأة سيئة الخلق مع الزوج ، وهو الرجل الذي يضرب عبده ويمنع الخير عمّن حوله ، وهي الأرض القاحلة التي لا يرجى خيرها ، وكل هذا مشاهد بالعين مدرك بالحس لا يمكن إخفاؤه ، ومن ثم كانت كنود في محلها أعظم دلالة على أداء المعنى من غيرها، ويعضد ذلك أيضا وصف الله عز وجل له بقوله " وإنه على ذلك لشهيد " فحاله لا يخفى على الناظر ، وهو شهيد بأفعاله على كفره .

١٢ – انبجست

قال تعالى { وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[١٠٦] .

قال صاحب اللسان : " البَجْسُ: انْشِقَاقٌ فِي قِرْبة أَو حَجَرٍ أَو أَرض يَنْبُعُ مِنْهُ الماءُ، فإِن لَمْ يَنْبُعْ فَلَيْسَ بانْبجاسٍ، وَمَاءٌ بَجِيسٌ: سَائِلٌ؛ عَنْ كُرَاعٍ. قَالَ اللَّه تَعَالَى: فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً ، والسحابُ يَتَبَجَّسُ بِالْمَطَرِ، والانْبِجاسُ عامٌّ، والنُّبُوع لِلْعَيْنِ خَاصَّةً، وبَجَسْتُ الماءَ فانْبَجَسَ أَي فَجَرْتُه فَانْفَجَرَ " [١٠٧].

---

[١٠٦] سورة الأعراف – الآية ١٦٠ .

[١٠٧] ابن منظور – لسان العرب – ج٦ ص٢٤ .

والمتأمل يرى أن الانبجاس خروج الماء على وجه العموم والنبع خروج الماء من البئر والعين ، وقد كانت معجزة موسى أن ضرب الحجر بعصاه فخرج الماء ، فناسب الانبجاس الموقف لأنه ليس نبعا من عين بل انبجاس من صخر .

١٣- جنفا

قال تعالى : { فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[١٠٨]

قال صاحب اللسان : "جَنِفَ، بِالْكَسْرِ، يَجْنَفُ جَنَفاً، فَهُوَ جَنِفٌ وأَجْنَفُ. ورَجُلٌ أَجْنَفُ: فِي أَحدِ شِقَّيْه مَيْلٌ عَنِ الْآخَرِ. والجَنَفُ: المَيْلُ والجَوْرُ، الجُنافيّ: الَّذِي يَتَجانَفُ فِي مِشْيَتِه فيَخْتالُ فِيهَا. وجَنِفَ عَلَيْهِ جَنَفاً وأَجْنَفَ: مالَ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ والخُصومةِ وَالْقَوْلِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: " فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً " قَالَ اللَّيْثُ: الجَنَفُ المَيْلُ فِي الْكَلَامِ وَفِي الأُمور كُلِّهَا تَقُولُ: جَنِفَ فُلَانٌ عَلَيْنَا، بِالْكَسْرِ، وأَجْنَفَ فِي حُكْمِهِ، وَهُوَ شَبِيهٌ بالحَيْفِ إِلَّا أَن الحَيفَ من الحاكم خاصة والجنَف عَامٌّ " [١٠٩].

والجنف كما هو باد للمتأمل ميل يفضي إلى أن يُعطى هذا أكثر من حقه ويُبخس آخر حقه ، فلا يمكن للظلم مثلا أن تحل محلها؛ فلا يشترط للظالم أن يعطي هذا ويحرم هذا، بل يجوز أن يحرم الجميع ، فالجنف ظلم مخصوص حيث يحرم إناسا ليعطي آخرين ، والحيف كما قرره البعض ظلم الحاكم فهو أيضا ظلم مخصوص من جهة أخرى ولعلّ ما يعضد كون الحيف

---

[١٠٨] سورة البقرة – الآية ١٨٢ .

[١٠٩] ابن منظور – لسان العرب – ج٩ ص٣٢ .

ظلم الحاكم خصوصا قول الله (عز وجل) { أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[١١٠]

١٤- استحوذ

قال تعالى:{ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[١١١].

قال صاحب اللسان :"حاذَ يَحُوذ حَوْذاً والحَوْذُ والإِحْواذُ: السيرُ الشَّدِيدُ. وَحَاذَ إِبله يَحُوذُهَا حَوْذاً: سَاقَهَا سَوْقًا شَدِيدًا ، وَرُوِيَ هَذَا الْبَيْتُ:" يَحُوذُهُنَّ وَلَهُ حُوذِيُ " فَسَّرَهُ ثَعْلَبٌ بأَن مَعْنَى قَوْلِهِ حُوذِيٌّ امْتِنَاعٌ فِي نَفْسِهِ . وَفِي حَدِيثِ الصَّلَاةِ: " فَمَنْ فَرَّغَ لَهَا قَلْبَهُ وَحَاذَ عَلَيْهَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ " أَي حَافِظٌ عَلَيْهَا، مِنْ حَاذَ الإِبل يَحُوذُهَا إِذا حَازَهَا وَجَمَعَهَا لِيَسُوقَهَا. وقَالَ لَبِيدٌ يَصِفُ حِمَارًا وأُتناً:

إِذا اجْتَمَعَتْ وأَحْوَذَ جانِبَيْها ... وأَوردَهَا عَلَى عُوجٍ طِوال

قَالَ: يَعْنِي ضَمَّهَا ولَمْ يَفُتْهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَعَنَى بالعُوج الْقَوَائِمَ " [١١٢].

فالكلمة استعملها العرب بمعنى السير الشديد السريع والقوة والمنعة والمحافظة على الشيء والإحاطة به والأصل فيها سوق الإبل سوقا عنيفا شديدا ، وسوق الإبل يتطلب كل هذه الأمور التي استعملت من أجلها الكلمة مجازا من القوة والمنعة والسرعة والإحاطة بها من كل جانب .

واتنقل صاحب اللسان بعد ذلك لبيان المعنى المجازي فقال : واستَحْوذ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَاسْتَحَاذَ أَي غَلَبَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ

---

[١١٠] سورة النور – الآية ٥٠ .

[١١١] سورة المجادلة – الآية ١٩ .

[١١٢] ابن منظور – لسان العرب ج٣ ص٤٨٦ .

عَلَيْكُمْ ﴾[١١٣] أَي أَلم نَغْلِبْ عَلَى أُموركم وَنَسْتَوْلِ عَلَى مَوَدَّتِكُمْ. وَفِي الْحَدِيثِ: " مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلا وَقَدِ اسْتَحْوَذ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ " أَي اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ وَحَوَاهُمْ إِليه [١١٤].

فهي استعارة مكنية ؛ فقد شبه تمكّن الشيطان من العبد حيث لا يعصيه في وساوسه وإغوائه بمن تمكن من بعيره فلا يستطيع إفلاتا منه بل هو في قبضته وتحت سلطانه.

---

[١١٣] سورة النساء الآية ١٤١ .

[١١٤] ابن منظور – لسان العرب ج٣ ص٤٨٦ .

خاتمة

دراسة الكلمة القرآنية وبيان مناسبتها للسياق من الدراسات الشيقة التي تدل دلالة عظيمة على أحد وجوه الإعجاز القرآني ، وقد بدا لنا واضحا من خلال تلك الدراسة أن غريب القرآن ألفاظ جاءت تحمل في طياتها دلالات معجمية وصرفية صوتية (وهي مباحث الأسلوبية) اجتمعت كلها لتؤدي المعنى على خير وجه، فلم يكن استعمال اللفظ الغريب في القرآن إلا لاضطلاعه بمعنى من المعاني لا يمكن لغيره أن يقوم به ، فهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولسنا – في هذا البحث – واقفين موقف المدافع عن ألفاظ القرآن ، بل موقف مَن عرف عظمة هذا النص، وأراد أن يبرز شيئا يسيرا من وجوه إعجازه، هذا النص الخالد الذي هو كلام الخالق عز وجل ، وقد مهدت لبحثي بمقدمة نظرية تعرض أراء العلماء قديما وحديثا حول اللفظ الغريب ، ورأيناهم كيف انتصروا له إذا خدم النص وكان له دور في إيصال المعنى ، ثم عرّجنا سريعًا على ثلة من الألفاظ القرآنية التي غربت ورأيناها كيف كانت الأجدر في التعبير عن مراد النص القرآني .

ثبت المصادر والمراجع

ابن الأثير نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجـزري، أبو الفتح، ضياء الدين،(المتوفى: ٦٣٧هـ) وهو أخو السابق .

١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد .

الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – عـام النشـر:١٤٢٠ هـ .

ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصـاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) .

٢- لسان العرب .

الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

أحمد الشايب دكتور .

٣- الأسلوب .

الناشر : مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة : الثالثة .

البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) .

٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي .

المحقق : عبد الرزاق المهدي .

الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت – الطبعـة : الأولـى ، ١٤٢٠ هـ . تمام حسان دكتور

٥- اللغة العربية معناها ومبناها .

دار الثقافة – المغرب – الطبعة : ١٩٩٤ م .

الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان، (المتوفى: ٢٥٥هـ) .

٦- البيان والتبيين .
الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت - عام النشر: ١٤٢٣ هـ .
الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٤٧١هـ) .
٧- دلائل الإعجاز .
المحقق: د. عبد الحميد هنداوي .
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م . حسن طبل دكتور .
٨- البلاغة العربية مصطلحات ومفاهيم
الناشر : ألفا للنشر والتوزيع - الطبعة : الأولى .
٩- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية .
جامعة القاهرة - كلية دار العلوم - الطبعة : ١٩٩٠ م .
الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) .
١٠- سر الفصاحة .
الناشر: دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
الرافعي مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) .
١١- تاريخ آداب العرب .
الناشر: دار الكتاب العربي - لبنان - الطبعة: الأولى .
الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) .

١٢- أساس البلاغة .
تحقيق: محمد باسل عيون السود .
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة:الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
١٣- الفائق في غريب الحديث والأثر .
المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم .
الناشر: دار المعرفة – لبنان – الطبعة: الثانية .
١٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ
سامي عباينة دكتور .
١٤- اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث .
الناشر : عالم الكتب الحديث – الأردن – الطبعة : الثانية ٢٠١٠ م .
شفيع السيد دكتور
١٥- الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي
دار الفكر العربي - الطبعة الأولى ١٩٨٦ م .
شكري عياد دكتور .
١٦- مدخل إلى علم الأسلوب .
الناشر : دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض – الطبعة : الأولى .
صلاح فضل دكتور .
١٧- علم الأسلوب .
الناشر : دار الشروق – مصر – الطبعة : الأولى – ١٩٩٨م .
الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) .

١٨- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) . المحقق: د/ عبد الحميد هنداوي .
الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض) .
الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
عبد الحكيم راضي دكتور
١٩- النقد اللغوي في التراث العربي
مجلة فصول عدد تراثنا النقدي ١٩٨٦ م ج٢ ع١.
عبد الحميد هنداوي دكتور .
٢٠- التصوير الفني والتصوير البياني .
الناشر : دار الهاني - القاهرة - الطبعة : الأولى - ٢٠١١ م .
٢١- دراسات أسلوبية .
الناشر : دار الهاني - القاهرة - الطبعة : الأولى - ٢٠٠٢ م .
٢٢- إعجاز الكلمة القرآنية دراسة أسلوبية بلاغية .
مؤسسة العلياء للنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة : بدون تاريخ .
٢٣- الإعجاز الصوتي في القرآن .
الدار الثقافية للنشر - الطبعة : الأولى - ٢٠٠٤ م .
عبد الرحمن عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (المتوفى: ١٤٢٥هـ) .
٢٤- البلاغة العربية .
الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت .
الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
عبد السلام المسدي دكتور .
٢٥- الأسلوبية والأسلوب .
الناشر : الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس . الطبعة : الأولى ١٩٧٧ .
عبده الراجحي دكتور

٢٦- مقالات عبده الراجحي
دار الصحابة للتراث بطنطا .
إعداد : سمير إسماعيل / محمود عبد الصمد - الطبعة : الأولى - ٢٠١١م .
٢٧- التطبيق الصرفي - دار النهضة العلربية للطباعة والنشر - بيروت - ط١ .
فتح الله سليمان دكتور
٢٨- الاسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية
الدار الفنية للنشر والتوزيع - الطبعة : الأولى .
مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)
٢٩- المعجم الوسيط
الناشر: دار الدعوة - الطبعة : الأولى .
محمد العبد دكتور
٣٠- اللغة والإبداع الأدبي .
دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة : الأولى - ١٩٨٩ م .
محمد محمد أبو موسى دكتور
٣١- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني
الناشر: مكتبة وهبة - الطبعة: السابعة .
محمد مندور دكتور (المتوفى: ١٣٨٥هـ)
٣٢- في الميزان الجديد
الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة: يناير ٢٠٠٤م

محمد النويهي دكتور .
٣٣- الشعر الجاهلي .
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر - الطبعة : بدون تاريخ .
محمود نحلة دكتور .
٣٤- لغة القرآن الكريم في جزء عم
دار النهضة العربية – بيروت - الطبعة : الأولى ١٩٨١ م .
مديحة السايح دكتور .
٣٥- المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي
دار الثقافة العربية – القاهرة - الطبعة : الثانية – ٢٠١٣ م
المناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)
٣٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير .
الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر - الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ .
يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (المتوفى: ٧٤٥هـ) .
٣٧- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز .
الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .
مراجع مترجمة رينيه ويلك – أوستن وارين
٣٨- نظرية الأدب
ترجمة عادل سلامة - دار المريخ – الرياض - الطبعة : بدون - ١٩٩٢ م .
مواقع إلكترونية
٣٩-https://islamqa.info/ar/answers